جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أُسْلُوبُ الفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ
طَرَائِقُهُ وَدَلَالَاتُهُ البَلَاغِيَّةُ

الدكتور

علي محمود عباس موسى

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أُسْلُوبُ الفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ ـ طَرَائِقُهُ وَدَلَالَاتُهُ البَلَاغِيَّةُ

علي محمود عباس موسى

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Alimussa.4119@azhar.edu.eg

الملخص

مِن الأساليب البلاغيَّة التي أهمل درسها : أُسلُوب الفرض التقدير ، مع أنَّه بابٌ جليل مِن أبواب الفصَاحة ، وصَفحةٌ ماتعة مِن صفَحَات الدَّرس البَلاغِي المُهمَّة ، فلطائف دلالات (أُسلُوب الفرض والتقدير) ودقائقه البلاغية كثيرة كثرة لا تُحُصى ، ولعلَّ غزارة شواهده في النَّظم الكريم بخاصَّة أدلّ دليل وأسطع برهان على أبلغيته ، ومن ثم جاءت هذه الدراسة : (أسلوب الفرض والتقدير ــ طرائقه ودلالاته البلاغية) .

وقد تشكل بناء الدراسة في فصل ومبحثين وعدة مطالب ، تسبقها مقدمة وتمهيد ، وتعقبها خاتمة ، ففي التمهيد وقفت الدراسة على أمرين : أولا : أسلوب الفرض والتقدير ــ بين المفهوم والتأصيل . ثانيا : القيم البلاغية لأسلوب الفرض والتقدير .

وأمَّا الفصل الأول فقد جاء بعنوان : طرائق الفرض والتقدير ، ودلالاته ، في فصيح الكلام .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريق الشَّرط والجزاء .

المبحث الثاني : طريق الاستفهام .

أبانت الدراسة أن لأسلوب الفرض والتقدير في ثوبيه الاستفهام والشَّرط دلالات بلاغية يصعب عدّها ، يُكشَف عنها بمعونة السِّياق ، ومِن هذه الدلالات : التعنيف والتبكيت والتهكم والتمني ، والتعظيم ، والتحقير ، والتقليل ، والتكثير ،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتقريب ، والتبعيد ، والتنفير ، والتقبيح ، وتفظيع الشأن ، والتهديد ، وقد يرى المتأمِّل حمل أسلوب الفرض والتقدير على أكثر مِن دلالة بلاغية ، ولا تعارض في ذلك ، فالنكات البلاغيَّة لا تتزاحم .

وأبرزت الدراسة كذلك أن أُسلُوب الفرض والتقدير أحَد آليات الحِجَاج والإقناع المُهمَّة ، وذلك لقدرته البالغة على إثارة الحس وهز مواطن الشعور ، فلا يَنبغي لمُدارس هذا الباب أن يغفل أثره البالغ ، ولاسيما أنَّ النَّظم الكريم وظَّفه لذلك في غير مَوطن .

ومن أظهر القيم البلاغية لأُسلوب الفرض والتقدير : المُبالغة والتحقيق والتوكيد وتخييل المُحال مُمكنًا ، وادِّعاء المَفروض في صُورة الأمر المُحقَّق ، وغيرها .

الكلمات المفتاحية : الفرض ــ التقدير ــ التمثيل .

The perfection of the grammatical structure in the name of God in Surat Al-Dhahar

Niazi Mohamed Abdel-Razek
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Suez University, Arab Republic of Egypt
Email: Alimussa.4119@azhar.edu.eg

Abstract

Among the rhetorical methods that he neglected to study: the method of imposition and appreciation, although it is a great chapter in the chapters of eloquence, and a beautiful page of the important pages of the rhetorical lesson.

And the brightest proof of its eloquence, and then came this study: (Method of imposition and estimation - methods and rhetorical connotations). The construction of the study was formed in a chapter, two studies, and several demands, preceded by an introduction and an introduction, followed by a conclusion. Second: the rhetorical values of the method of imposition and appreciation.

As for the first chapter, it came under the title: Methods of Imposition and Estimation, and its Implications, in Fluent Speech. And it includes two topics: The first topic: the way of conditions and punishment. The second topic: the way to question.

The study showed that the method of imposition and appreciation in the dress of the interrogation and the condition has rhetorical connotations that are difficult to count, which are revealed with the aid of the context. The meditator may see that the method of imposition and appreciation carries more than one rhetorical connotation, and does not contradict that, as rhetorical jokes do not compete.

The study also highlighted that the method of imposition and appreciation is one of the important mechanisms of pilgrimage and persuasion, due to its extreme ability to stimulate sensation and shake the points of feeling, so the schools of this section should not neglect its severe impact, especially since the noble system employed it for this in a place other than home.

And who showed the rhetorical values of the method of imposition and estimation: exaggeration, investigation, assertion, imagining the assignee possible, claiming imposed in the form of the verified order, and others.

Keywords : imposition - appreciation – representation

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحَمدُ لله ربّ العالمين ، حَمدًا يُوافي نعمه ، ويُكافئ مزيده ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق سيدنا مُحمَّد ، وعلى آله وأصحابه ، ومَن تبعهم بإحسانٍ وصدق إلى يوم الدِّين .

أمَّـا بعـد :

فلا شكَّ أنَّ البلاغة العربيَّة في حاجَة مَاسَّة إلى النَّظـر الطَّويـل فـي تراكيب الفُصَحاء ، والوقوف على أساليب الكلام وطرائقه المُختلفة ، ويتلـو ذلك التفتيش الدَّءوب عن إيحاءات تلك الأساليب ودلالاتها ، إذ لا يَخفي على ذِي بَصيرة أنَّ البحث في أساليب الكلام الفصيحة ودَّلالاتها ومعانيهـا هـو جَوهر الدَّرس البلاغيّ ولبُّه ؛ من حيث كانت تلتقي فيه النظرية والتطبيق في آن واحد .

وذلك أن تلك الأساليب قوالب المعاني ومسابكها التي تحفظ لأصـحاب البيان مقاصدَ بيانهم ومراميَه ، وكل بيان يُودع فيه أسرارُ أصحابه ، فهـي تنقل عنهم خلجات نفوسهم ، التي يجب على المُتلقِّين بصِدق أن يتكشَّفوها ، وينفذوا إليها ، عبر الدَّلالات ، والإيحاءات ، والإشارات التي تنطوي عليهـا تلك الأساليب ، فـ " هذه الدقائق واللطائف هي الضَّالة التي نبحث عنهـا ، وبمقدار وصولنا إليها يكون نجاحنا في هذا العلم ، وبمقدار بُعْدنا عنه يكون إخفاقنا " (١)

(١) دلالات التراكيب ــ دراسة بلاغية للأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو موسى ص ٦ ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط : ثالثة ــ ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م .

وهذا أمر ليس باليسير ؛ لأنَّ " الوصول إلى غوامض المعاني الكامنة في غوامض الأبنية لا يُسْعف فيها إلا الطَّبع والألمعيَّة ، وهما الخُلتان اللتان يشترك فيهما دارس الكلام مع مُنشئه ، وإذا افتقد الدَّارس هاتين الخُلَّتين ضلَّ مواطن الأسرار " (١) نعوذ بالله مِن ذلك ، ونسأله أن يشرح صدورنا ، وأن يُنير بصائرنا وأبصارنا .

ومِن هذه الأساليب البلاغيَّة التي أهمل درسها : أُسلُوب الفرض التقدير ، مع أنَّه بابٌ جليل مِن أبواب الفصَاحة ، وصَفحةٌ ماتعة مِن صفَحَات الدَّرس البَلاغِي المُهمَّة ، والتي كان يجب ألا تُغفل بحال ، فلطائف دلالات (أُسلُوب الفرض والتقدير) ودقائقه البلاغية كثيرة كثرة لا تُحصى ، ولعلَّ ورود غير قليل مِن تلك الشَّواهد في النَّظم الكريم بخاصَّة هو أدلّ دليل وأسطع برهان على أبلغيته ، وكيف لا ؟ وجميع المُشتغلين بعلوم العربية يدركون أنَّ القُرآن الكَريم ــ سُبحان مَن أنزله ــ " خير مجال لضبط أصول وبيان العربيَّة ، والتعرُّف على أساليبها " (٢) ، ويرحم الله ابن أبي الإصْبَع المصريّ القائل : " ... وإذا انتهيتَ إلى بلاغة الكتاب العزيز انتهيت إلى نهاية البلاغة " (٣) ولذا فإنَّ الدِّراسة ــ كما سيقف النَّاظر ــ قد اتَّكأت على شواهد الفرض والتقدير التي وردت في النَّظم الكريم أكثر مِن غيره .

---

(١) دلالات التراكيب ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم ــ سورة الكهف نموذجا ــ دراسة وصفية ــ للباحث محمد أبو لحية ــ رسالة ماجستير ــ ص باء ــ جامعة الحاج لخضر ــ باتنة ــ كلية الآداب ــ ٢٠١٠ م ــ ١٤٣١هـ .

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصْبَع المِصْرِي ــ تح : د / حفني محمد شرف ص ٣٢٩ ــ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ د ت .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هذا، وقد حفَّزني إلى البحث في هذا الموضوع عدَّة أمور ، مِن أهمِّها:

أولًا : بَكَارَة الموضوع ، فالمشتغلون بالدَّرس البلاغيّ لم يفردوا عملا واحدا ــ فيما أعلم ــ يقوم على دراسة بلاغة أسلوب الفــرض والتقــدير ، وتجلية أسراره ، وإبراز دقائقه .

ثانيًا : أُسلوب الفرض والتقدير له قيم بلاغيَّة مُعتبــرة ، فهــو إذًا لا يقلُّ شأنا عن غيره من الأساليب البلاغية الرَّفيعة .

ثالثًا : حاجة الدَّرس البلاغيّ الماسَّة إلى دراسات تتغلغل في الأبنيــة الغامِضة للوصول إلى المعاني والدَّلالات الغائصة بعيدا في قعرها .

رابعًا : تدفع الدِّراسة في هذا الأسلوب ما قد يُتوهم مُراده مِن ظــاهر التَّعبير ، ولاسيَّما أنَّ ظاهر التعبير بأسلوب الفرض والتقدير غيــر مــراد ، وإنَّما يراد ما يكون في ثناياه ، وهذا يتحقَّق بعد رَويَّة وإنعام نظَر .

هذا ، وقد كان المَنهج الوصفي التحليلي هو الأوفق بهــذه الدِّراســة والأدعى ، ويُمكن تفصيل خطوات ذلك ، فيما يأتي :

أولًا : تتبُّع شواهد أسلوب الفرض والتقدير في فصيح الكلام .

ثانيًا : الوقوف على طرائق التعبير التي توظَّف لإفادة معنى الفــرض والتقدير ، فهذا يكون في سياق الشَّرط ، وهذا يكون في سِياق الاســتفهام ، وهذا يأتي صريحًا ، وهذا يأتي مُقدَّرا يلمحه الناظر في ثنايا الكلام .

ثالثًا : مُحاولة التأصيل العلميّ الصَّحيح لخروج الأساليب التي توظَّف لإفادة الفرض والتقدير كالشَّرط والاستفهام عن أصل دلالتهــا ، وانتقالهــا لتؤدي ذلك .

رابعاً : الوقوف على الدَّلالات البلاغيَّة لكل شاهد مِن تلك الشَّواهد التي انتخبتها الدِّراسة ، مع التفتيش عن جماليات التعبير بأُسلُوب الفرض والتقدير في تلك الشواهد .

خامساً : تجلية تلك الأساليب عن طريق تحليلها ، وما يتعلّق بها ، تحليلا يبرز جمالها ، ويبين عن وفائها بغرض المتكلِّم .

سادساً : تجلية مفهوم أسلوب الفرض والتقدير ، وتبيان قيمَه البلاغيَّة التي تُغري المُتكلِّم لإيثاره مِن بين غيره من التراكيب الفصيحة وإثبات أنه كغيره من الأساليب الرَّفيعة مِن دواعي مُقتضى الحال .

هذا ، وقد استقام البحث في فصل واحد ، تسبقه مقدمة وتمهيد ، وتعقبه خاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات .

أمَّا **المقدّمة** فاشتملت على أهمية البحث في هذا الموضوع ،الدَّرس ، ومنهج البحث ، وخطّته.

وأمَّا **التمهيد** ففيه :

أولا : أسلوب الفرض والتقدير ــ بين المفهوم والتأصيل .

ثانيا : القيم البلاغية لأسلوب الفرض والتقدير .

وأمَّا الفصل الأول فقد جاء بعنوان : طرائق الفرض والتقدير ، ودلالاته، في فصيح الكلام .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريق الشَّرط والجزاء .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (إن) .

المطلب الثاني : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (لو)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثالث : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـــ (من) .

المبحث الثاني : طريق الاستفهام .

وفيه مطلب وحيد :

المطلب الأول : الفرض والتقدير في سياق الاستفهام الإنكاري بالهمزة .

وأمَّا **الخاتمة** فأوجزت فيها بعد شكر الله وحمده أبرز النتائج .

هذا ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله وسلَّم على ســيدنا محمّــد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (١) .

الباحث :

علي محمود عباس الصالح

(**أبو عبد الرحمن**)

(١) سورة آل عمران : آية ٨ .

التَّمْهِيد

أولا : أسلوب الفرض والتقدير ـ بين المفهوم والتأصيل .

للأسلوب في اللغة معانٍ مُختلفة أدناها إلى معنى اللفظ في العُرف البلاغيّ : الطَّريق والوجه والمَذهب .. والأسلوب بالضَّم : الفن ، يُقال : أخذ فلان في أساليب مِن القَول ، أي : أفانين منه (١)

وقد ذكر الإمام عبد القاهر الجُرْجَاني ــ رحمه الله ــ أنَّ " الأُسلوب : الضَّرب مِن النَّظم والطَّريقة فيه " (٢)

أمَّا الفرض فيأتي في اللغة أيضًا لمعانٍ عدّة ، أقربها إلى المعنى الاصطلاحي معنى التقدير والوجوب ، يقال : فرض القاضي النفقة ، أي : قدَّرها ، ويأتي (فرض) بمعنى أوجب ، يقال : فرض الله الأحكام فرضًا : أوجبها (٣)

ولا أدلّ على ذلك مِن تسمية هذا الأسلوب في التراث البلاغي قديمًا وحديثا تارة بالفرْض والتقدير ، وتارة بالفرض والتمثيل ، وهذا يعني أنَّ التقدير والتمثيل هنا مُتقاربان في الدَّلالة ، وإنَّما آثرتُ التعبير بالفرض والتقدير حتَّى لا تتشابه التَّسمية مع التَّمثيل في علم البيان ، مع ما لتسمية الأسلوب بالفرض والتمثيل مِن الشُّهرة في التراث البلاغيّ ، والله أعلم .

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور ــ مادة (س ل ب) ط : دار صادر ــ بيروت ــ د ت .

(٢) دلائل الإعجاز ــ للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تح : د : التنجي ــ ص ٣٣٨ ــ ط : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط : أولى ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م .

(٣) ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لمؤلفه حمد بن محمد الفيومي ــ مادة (ف ر ض) ــ ط : المكتبة العلمية ــ بيروت ــ د ت .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثمَّ إنَّ في دلالة الفرض على مَعنى الوجوب تناغيا أيضًا مع المعنى الاصطلاحيّ مِن جَهة أنَّ أسلوب الفرض والتقدير يكون فيه المستحيل غير الحاصل في صُورة الأمر الواجب والثابت والمُقرَّر .

والفرض والتقدير أحد فُنون القول ، وأحد أساليب البيان الرَّفيعة ، ويُمْكن تعريفه في عبارة وجيزة بأنَّه : وَضع المُحال في صُورة المُمكن ، لغرض يقصده البليغ ، أو هو : افتراض المُحال حقيقة أو ادِّعاء ، مُمْكنا لغرض مقصود . وهذا اجتهاد من الباحث إذ لم أعثر على معنى اصطلاحي له في التراث البلاغيّ القديم والحديث .

فالتقرير بالمحال وادعاء حصول الأمر المحال موطنه هذا الأسلوب ، يقول الإمام عبد القاهر في معرض حديثه عن الاستفهام : " وإذ قد عرفتَ ذلك فإنَّه لا يقرر بالمُحال وبما لا يقولُ أحدٌ إنه يكونُ إلاّ على سبيلِ التمثيل ، وعلى أن يقالَ له إنَّك في دعواك ما ادَّعيتَ بمنزلةِ مَن يدَّعي هذا المُحال ، وإنك في طَمَعِك في الذي طَمِعْتَ فيه بمنزلةِ مَن يطمعُ في الممتنع " (١)

وفي هذا الأسلوب يُشتم فيه المثل ، ففي عون المعبود : " وَقَدْ يُضْرَب الْمَثَل فِي الشَّيْء بِمَا لَا يَكَاد يَصِحّ فِي الْوُجُود ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ مِثْل مَفْحَص قَطَاة بَنَى اللَّه لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّة (٢))

---

(١) دلائل الإعجاز ــ للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تح : د : التنجي ــ ص ١٠٥ ــ ط : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط : أولى ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م .

(٢) الحديث من طريق سيدنا أبي ذر .. رواه البزار والطبراني في الصغير ورجاله ثقات . ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٢ / ١١١ ، ورقم الحديث : ١٩٣٨ ــ ط : دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤١٢ هـ .

ــ الأُفْحُوص : مَجْثَمُ القَطاة لأَنها تَفْحَصُه وكذلك المفْحَصُ ، يقال ليس له مَفْحَصُ قطاة ، قال ابن سيده والأُفْحوصُ مَبِيصُ القطا لأَنّها تَفْحَص الموضع ثم تبيض فيه . ينظر : لسان العرب ــ مادة (فحص) . =

وَقَدْر مَفْحَص الْقَطَاة لَا يَكُون مَسْجِدًا لِشَخْصٍ آدَمِي، وَنَظَائِر هَذَا الْكَلَام كَثِير"(١)

وقد قيل ذلك في مَعْرِض التعليق على حديث النبيّ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الوارد في سياق الفرض والتقدير : " اسمعوا وأطيعوا وإنْ ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة " (٢) والحديث كما يظهر للنَّاظر " خَرج مُخرَج التمثيل والفَرض ، للمُبالغة في إيجاب السَّمع والطَّاعة " (٣)

والناظر يجد أنَّ أُسلوب الفرض والتقدير في حديث النَّبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يحمل المُخاطبين على المُبالغة في السَّمع والطَّاعة ؛ لأنَّ ظاهر الحديث إيجاب السَّمع والطَّاعة لولي الأمر الذي لم تتحقَّق فيه شرائط

= القطاة: القَطا طائر معروف سمي بذلك لثِقَل مَشيْه واحدته قَطاة.. ينظر : لسان العرب ــ مادة (قطا).

– وتظهر قيمة أسلوب الفرض والتقدير في الحديث الشريف (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ مِثْل مَفْحَص قَطَاة بَنَى اللَّه لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّة) فيما يفيده من المُبالغة في الحثِّ على بناء المساجد من دون النظر إلى السَّعة وعدمها ، وتبيان عظيم الأجر الذي أعدَّه الله الكريم سبحانه في الدار الآخرة لكل بانٍ منذ قول النبيّ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ــ لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ١٢ / ٢٣٤ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط : ثانية ــ ١٤١٥هـ .

(٢) ذو زبيبة : الزَّبَبُ في الرجل كثرةُ الشعر وطُولُه .. وقيل كَثرَةُ الشَّعَرِ في الأُذنين والحاجبين .. ويقال إنَّ الزَّبيبَتَيْنِ هما الزَّبَدَتانِ تكونان في شِدْقَي الإنسان إذا غَضِبَ وأَكثرَ الكلامَ حتى يُزْبِدَ . ينظر : لسان العرب ــ مادة (ز ب ب) ــ ط : دار صادر ــ بيروت ــ لبنان .

– والحديث في صحيح البخاري ، وقد رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، ولفظه في الصحيح :" اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ " ينظر : صحيح البخاري المسمى : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ــ تحقيق : محمد زهير بن ناصر ــ ط : دار طوق النجاة ــ ط : أولى ــ ١٤٢٢هـ . بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً .

(٣) مقدَّمة ابن خلدون ــ تح : عبد الله محمد الدرويش ١ / ٣٧٠ ــ ط : دار يعرب ــ دمشق ــ ط : أولى ــ ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإمارة من انتفاء صفة الحرية وكونه من قريش ، فكيف بمَن كان مِن أحرار قُريش الذين قصرت الإمامة عليهم ؟ فصلى الله عليه وسلَّم " أَمَـرَ بِطَاعَـةِ الْعَبْد الْحَبَشِيّ ، وَالْإِمَامَة الْعُظْمَى إِنَّمَا تَكُون بِالِاسْتِحْقَاق فِي قُرَيْش ، فَيَكُـون غَيْرهمْ مُتَغَلِّبًا ، فَإِذَا أَمَرَ بِطَاعَتِهِ اِسْتَلْزَمَ النَّهْي عَنْ مُخَالَفَتِهِ وَالْقِيَام عَلَيْهِ "(١) ففي هذا الأسلوب مِن المُبالغة في إيجاب السَّمع والطَّاعة لولي الأمر الـذي تحقَّقت فيه شرائط الإمارة ، أو لم تتحقَّق .

واختيار الوصف (ذو زبيبة) الغرض منه التَّحقير ، وهو يتلاءم مـع مقصُود خِطاب النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويتناغى مع أُسلوب الفرض والتقدير أيّما تناغٍ ، قال الطَّيْبي ــ رَحِمه الله ــ : " صفة أخرى للعبد ، شبَّه رأسه بالزبيبة ، إمَّا لصغره ، وإمَّا لأنَّ شعر رأسه مقطط كالزبيبة ، تحقيـرا لشأنه " (٢)

ومِن هذا ، يستقيم القول بأنَّ أسلوب الفرض والتقدير جدير بالـدَّرس والتحليل ؛ إذ إنَّ الباب مؤصَّل له ، وشواهده في مختلف ألوان البيان العربي كثيرة ، يضيق حصرها ، وتبيان محاسنها ، والله أعلم .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ تح : محب الدين الخطيب ــ ٢ / ١٨٧ ــ ط : دار المعرفة ــ بيروت .

(٢) مرقاة المفاتيح للعلَّامة علي بن سلطان محمد القاري (شرح مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي) ــ تح : جمال عيتاني ٧ / ٢٢٥ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط : أولى ــ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م .

ثانياً : القِيم البلاغيَّة لأسلوب الفرض والتقدير .

لكلّ أسلوب مِن أساليب البيان الرفيعة قيمة بلاغيَّة يُؤديها ، وقدر الأساليب البلاغيَّة عامَّة بمقدار ما تؤديه للمتكلم من قيم وأغراض بلاغية ، يكون بيانه في حاجة ماسة إليها ، ومن ثم تكون تلك الأساليب متطلبا مقصودا يفي بالمقام والغرض .

فـ " الأساليب تقدر بمقدار ما توقظ وتثير وتحرك ، حتَّى إنَّ أقواها ما ينقلها إلى حالة نحس فيها أحاسيس جديدة ونعيش بها أجواء جديدة ، فإذا عظم سلطان هذه الأجواء ، وهذه الأحوال على نفوسنا كانت المرتبة العالية فى بلاغة الكلام ، فإذا ما سيطر هذا السُّلطان ، وملك ، وأصبح زمام النفس بيده ، كانت المرتبة الأعلى التي نجدها في شعر النابغين مِن الشُّعراء ، كما نجدها أوضح وأبين في كلام الله " (١)

أولًا : المُبَالغة :

مِن أظهر القيم البلاغية لأُسلوب الفرض والتقدير : المُبالغة ، وهي مقصد بلاغي مهمّ ، وقد وقف الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ـ رحمه الله ـ على هذه القيمة البلاغية لأسلوب الفرض والتقدير حين عرض لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٢) ، حيث قال : " وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض ، وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه ، وأن لا يترك النَّاطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد ، وذلك أنَّه علق العبادة بكينونة الولد ، وهي

---

(١) التصوير البياني ـ دراسة تحليلية لمسائل البيان ـ د محمد محمد أبو موسى ص ٣٦٣ ـ ط : مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط : سادسة ـ ٢٠٠٦ م .

(٢) سورة الزخرف : آية ٨١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

محال في نفسها ، فكان المعلق بها محالاً مثلها ، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة ، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها " (١)

فربنا سُبحانه وتعالى نفى عن نفسه العبادة بأسلوب تعليق الوصف على المُحال ، ليخلص له منفردا دون ما سواه الوصف بأنَّه المعبود الذي يستحق خُضوع جميع المخلوقات لسلطانه ، وهو طريق فيه مِن حجاج العقل وإثارة الذهن ، ما يتناغى مع حَال المخاطب هنا ، وموقفه من إنكار الوحدانية له سبحانه بإثبات الشريك له تعالى الله عن ذلك ، ومع وجازة الأسلوب وخفته تجده قد توجَّه للمبالغة في نفي الولد والعبادة عنه سبحانه في آن واحد .

وهنا في آية الزخرف قد عُلِّق الكلام على الشَّرط المُحال ، وقد يعلَّق على الجزاء المُحال ، كما في قوله ــ جَلَّ شأنه ــ في سورة الأنبياء : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢)

فقد حصل مراد النظم هنا بأسلوب الفرض والتقدير عن طريق نفي الجزاء وهو الفساد بتعلقه على شرط محال ، وهو وجود آلهة غير الله ، والحاصل في الآية نفي الأمرين معًا : (الشرط والجزاء ، أو وجود الآلهة والفساد) .

يقول الشيخ محمَّد أبو مُوسى : " دلَّ عدم الفساد على عدم وجود الآلهة ، يعني دلَّ نفي الجزاء على نفي الشَّرط ، وهذا غير الطَّريق الأوَّل(٣)؛

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ــ تح : عبد الرزاق المهدي ٤ / ٢٦٨ ــ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ د ت .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٣) يشير الشيخ محمد محمد أبو موسى إلى قوله : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾

لأنَّ الدليل هناك هو نفي الجزاء لتعلّقه على المُحال ، يعني لم يستدل على نفي الشَّرط بنفي الجزاء ، وإنَّما استدل على نفي الجزاء باستحالة الشَّرط ، وهذا وإنْ كان قريبا مِن الأول فهو غيره " (١)

فوجه الاختلاف الدَّقيق كما يتراءى لي مِن عبارة الشَّيخ (أبو موسى) مع أنَّ نظم التركيبين واحد هو تعيين أيّ مِن جُملتي الجزاء والشَّرط كانتا سببا في نفي الآخر ، مع أنَّ المَنفي في الموضعين الشَّرط والجزاء معًا .

فنفي الجزاء في موضع الزخرف هو سبب نفي الشرط ، ونفي الشَّرط في موضع سورة الأنبياء هو السبب في نفي الجزاء ، والله تعالى أعلم .

وقد وقف أيضًا على هذه القيمة البلاغية (المبالغة) شيخنا العلَّامة محمد أبو موسى حين عرض لأسلوب الفرض والتقدير في قوله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ (٢).

فقال : " فالفاحشة التي يضاعف العذاب لهن من أجلها من المُحال أن تقع في بيت النبوة ، والكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل مبالغة في التنفير من هذه الفاحشة ، ومبالغة في بيان خطرها ، وهو كلام يُلوِّح بسوط العذاب ، وبالغ النقمة ، والغضب ، على أرباب الخطيئة في الأرض " (٣)

وفي رأيي أنَّ هذا الأسلوب يشير من طرف خفي إلى المبالغة في وَصف طُهر وعفاف أمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن وأرضاهن ــ ففي

---

(١) آل حم الشورى ــ الزخرف ــ الدخان ــ دراسة في أسرار البيان ــ د: محمد أبو موسى ص ٥١٤ ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط : أولى ــ ١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ م .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٠

(٣) من أسرار التعبير القرآني ــ دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ــ د محمد محمد أبو موسى ص٢٦٨ ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط : ثالثة ــ ١٤٣٣ هـ ــ ٢٠١٢ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

صدر الآية بالغ تشريف ، وفرط تعظيم لهنَّ ، أبانت عنه إضافة لفظ (نِساء) إلى وصف النّبوة ، ومِن ثَمَّ فَمَن شأنهن التكريم والتَّشريف والتعظيم لا يليق بمثلهن غير ذلك مِمَّا تأباه الحرائر الأبيَّات اللاتي لا ينتسبن لدين ، فكيف بمَن هُنَّ في كنف حامل رسالة السَّماء إلى العالمين أجمعين ؟ إذ كانت المبالغة في الوعيد إلى حدّ يتضاعف معه العذاب ، يقف حاجزا دُون اقتراف الفاحِشة ، ومن ثمَّ فتوقُّع حُصُولها مِن نساء النبيّ أمر مُحال ؛ لأنَّ الذنب لا يقترفه إلا مَن أمِن .

ومن هذا وما سبق نلمح أنَّ البلاغيين قديمًا وحديثًا تواطأوا على أنَّ المبالغة من القيم البلاغية التي تكمن وراء أسلوب الفرض والتقدير .

ثانياً : زيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه .

مِن القِيم البلاغيَّة لأُسلوب الفرض والتقدير ، والذي يجعله غاية البليغ، ومحَطّ نظره : زيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه .

وقد تجلى ذلك في قوله ــ جلَّ شأنه ــ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (١)

والملاحظ أن أسلوب الفرض والتقدير قد استفيد مِن ثنايا الآية الكريمة من قبل أن المعنى أنَّ : " تلك الأمانة في عظم الشَّأن بحيث لو كلّفت هاتيك

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٧٧ .

– الأمانة هي الفرائض ، وقال آخرون : هي الطاعة . وقال قَتَادة : الأمانة : الدِّين والفرائض والحدود . وقال بعضهم : الغُسْل من الجنابة . وقال مالك عن زيد بن أسلم قال : الأمانة ثلاثة : الصَّلاة ، والصَّوم ، والاغتسال من الجنابة ، وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي متفقة وراجعة إلى أنَّها التكليف ، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنَّه إن قام بذلك أثيب ، وإن تركها عُوقِبَ ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا مَنْ وفق اللَّهُ . ينظر : تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ــ تح : سامي بن محمد سلامة ــ ٦ / ٤٨٩ ــ ط : دار طيبة للنشر والتوزيع ــ ط : الثانية ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩ م .

الأجرام العظام التي هي مثل في الشِّدة والقوة مراعاتها ، وكانت ذات شهود وإدراك لأبينَ قبولها وأشفقن منها ، ولكن صرَف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المُحقَّق رومًا لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه" [١] وهذا يعني أنَّ أسلوب الفرض والتقدير قد يُفهم أحيانا ضِمنا، أو تقديرا مِن دون أن تكون له صُورته التي يجيء عليها بارزة مكشوفة ، فالغالب عليه أن يكون في قالب الاستفهام والشَّرط كما سيبين لاحقا .

فقد أبرز الأُسلوب هنا عِظم تلك الأمانة التي حَملها الإنسان ، لأنَّ الإنسان ــ وهو ضعيف ــ حين يكون بإزاء السموات والأرض والجبال التي أبين وخفن من حملها يتبين له فرط الصعوبة وبالغ المؤونة .

هذا ، وقد قال قوم : الآية من المجاز ، أي إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال ، رأيتهما أنهما لا تطيقها ، وأنها لو تكلمت لأبتها وأشفقت عنها ؛ فعبر عن هذا المعنى بقوله : (إنا عرضنا) الآية ، وهذا كما تقول : عرضت الحمل على البعير فأباه ، وأنت تريد بذلك مقارنة قوته بثقل الحمل ، فرأيتها تقصر عنه [٢]

هذا ، وقد يكون العرض والإباء على السموات والأرض والجبال في الآية الكريمة على ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، وأن ربنا سبحانه وتعالى عرض الأمر على السموات والأرض والجبال فأبين ، وعلى هذا فلا فرض ولا تقدير، والله تعالى أعلم بكتابه .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٧ / ١١٨ ــ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ من دون تاريخ .

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ــ تح : عادل أحمد عبد الموجود ــ علي محمد معوض ٧ / ٢٤٤ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ ط : أولى ــ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويرى بعضهم أنَّ الآية مِن قبيل الإيجاز بالحذف ، فـ " في السموات والأرض وجهان : أحدهما : أن المراد هي بأعيانها ، والثاني : المراد أهلوها ، ففيه إضمار تقديره : إنَّا عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض " [(١)] وبهذا الاعتبار تخرج الآية مِن جملة التعبير بأسلوب الفرض والتقدير أيضا .

والذي يبدو لي أنَّ حمل الآية الكريمة على المجاز بالحذف لا ينهض أن يكون تأويلا مُعتبرا ؛ إذ كيف يكون صدر الآية في تقرير إباء حمل أهل السموات وأهل الأرض الذين مِن جملتهم ذاك الإنسان ، ثمَّ يتلوه بما يدلّ على قبول الإنسان لذلك ، فثمَّ تناقُض بيِّن ، ولهذا كان حَمْلها على الفرض والتقدير ، أو الظاهر ، هو الأظهر والأوفق ، والله أعلم .

هذا ، وقد أعان الامتداد بجملة الاعتراض التذييلي في قوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) إذ إن جملة (إنه كان ظلوما جهولا) اعتُرض بها بين جملة : (وحملها الإنسان) والمتعلق بفعلها ، وهو جملة : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الآية) على تبيان ثقل الأمانة، وأنَّ المؤونة التي تصدَّى لها الإنسان بالغة الصّعوبة ، وأنَّه تحمَّل ما لا يحمل ، فتذييل الآية " اعتراض وُسِّط بين الحمل وغايته ، للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما يحمل ، والتأكيد لمظنّة التردد ، أي إنَّه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل ، أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو قبولهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تعالى تبديلاً ، ويكفي في صدق الحكم على الجنس بشيء وجوده في

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبيرومفاتيح الغيب للرازي ٢٥ / ٢٣٦ ـــ ط : دار الفكر ــ لبنان ــ بيروت ــ ط : أولى ــ ١٤٠١ ه ــ ١٩٨١ م .

بعض أفراده فضلاً عن وجوده في غالبها " [١] فأسلوب الفرض والتقدير إذًا يتجاوب مَع غيره مِن مُكونات البيان الأخرى في تقرير مقاصد المتكلم وتحقيقها ، وأنَّه كغيره من الأساليب الرَّفيعة يتغلغل مَع الأساليب التي تُجاوره ، ويتفاعل معها ، ويكون أحد اللبنات الرَّئيسة التي تحقِّق مقصود صاحب البيان وغرضه .

****

ثالثًا : حُسْن التَّخييل .

مِن الأساليب التي يتجلَّى فيها حُسْن التخييل أُسلوب الفرض والتقدير ، فتأتي معه المعاني المتخيلة في صورة أكثر كشفا وجلاء ووضوحا .

والمُتأمِّل يجد النَّظم الكريم يُوظِّف أسلوب الفرض والتقدير كثيرًا لتقريب المعني إلى الفهم ، لما له من قدرة بيانية فائقة على التأثير على المُخاطَب ، وإقناعه ، وهما من مقاصد الكلام البليغ .

قال ابن خلدون : " اعلم أنَّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم " [٢]

ففي قوله ــ جلَّ شأنه ــ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣]

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٢٢ / ٩٦ ـــ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ من دون تاريخ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢ / ٣٦٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٦١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يبيِّن النَّظم الكريم أنَّ " نفقتهم كمثل حبة ، أو مثلهم كمثل باذر حبة ... ومعنى إنباتها سبع سنابل ، أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب ، لكل واحدة سنبلة ، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف ، كأنها ماثلة بين عيني الناظر .

فإن قلتَ : كيف صحّ هذا التمثيل ، والمُمثَّل به غير موجود ؟ قلتُ : بل هو موجود في الدَّخن والذُّرة ، وغيرهما ، وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المقلّة فيبلغ حبّها هذا المَبلغ ، ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير " (١)

فالنَّاظر يتبدَّى له جمال توظيف النَّظم الكريم لأسلوب الفرض والتقدير في تصوير عظم الجزاء الذي يصل إلى المنفق عاقبة لإنفاقه ، حتَّى كأنَّ الصُّورة التمثيليَّة الافتراضيَّة التي جاءت في ثوب التخييل (ماثلة بين عيني الناظر) ؛ إذ أراك حبة ، يكون منها سبع سنابل ، فالنَّظم الكريم كما يظهر للمتأمِّل قد شَخَّص ذلك المعنى ، وهو مضاعفة أجر المنفق في سبيل الله في صُورة مرئيَّة مُتخيلة ، أساسها مُشاهد يراه النَّاظر أمام عينيه كثيرا ، وهذا مِن بَدِيع النَّظم الكريم .

ومِن هذا ، ومَا سبق ، يتبيَّن للناظر مدى حاجة المتكلم إلى أسلوب الفرض والتقدير في الموقع الأشكل ، والله أعلم .

****

هذا ، ولا يخفى عليك أيُّها القارئ الكريم ــ شرح الله صدرك ــ الفرق بين مذاقات البيان المختلفة ، وأنَّ مذاق الكلام حين يكون في صُورة الفرض

---

(١) الكشاف ١ / ٣٣٨ .

الدَّخّن : نبات عشبي من النجيليات ، حبه صغير أملس كحب السمسم ينبت بريا و مزروعا . ينظر : المعجم الوسيط ــ مادة (دخن) .

والتقدير يختلف كثيرا حين يكون في قالب الأمر الخبريّ المُقرَّر ، فلكلٍّ موقعه الذي يحسُن فيه .

يتجلَّى ذلك في توجيه خطاب الشَّك في قوله ــ عزَّ شأنه ــ مُخاطبا نبيه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (١)

وقوله عز شأنه ــ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٢)

يقول الزَّمخشري ــ رحمه الله ــ : " فإنْ قلتَ : كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ مع قوله في الكفرة : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٣) قلتُ : فرق عظيم بين قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ بإثبات الشكّ لهم على سبيل التأكيد والتحقيق ، وبين قوله : ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾ بمعنى الفرض والتمثيل ، كأنه قيل : فإن وقع لك شك مثلاً ، وخيّل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ والمعنى : أنّ الله عزّ وجلّ قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ، ووصفهم بأنّ العلم قد جاءهم ، لأنّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويبالغ في ذلك ، فقال : فإن وقع لك شكّ فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلّها وإماطتها ، إمَّا بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته ، وإمَّا

(١) سورة يونس : آية ٩٤
(٢) سورة هود : آية ١١٠
(٣) سورة هود : ١١٠ وسورة فصلت : ٤٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بمقادحة العلماء المنبهين على الحقّ فسل علماء أهل الكتاب ، يعني : أنَّهم مِن الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك ، فالغرض وصف الأحبار بالرّسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله إلى رسول الله ، لا وصف رسول الله بالشكّ فيه " (١)

فمِن جَمال التعبير بأسلوب الفرْض والتقدير هُنا أنَّ النظم الكريم وظَّفه هنا أتمّ توظيف ليصل به النَّظم الكريم إلى غرضه الرَّئيس ، وهو " وصف الأحبار بالرّسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله إلى رسول الله ، لا وصف رسول الله بالشكّ فيه " كما قال الزَّمخشري ، وهذا يُترجم مُرُونة هذا الأسلوب ، وتكيُّفه مع غيره مِمَّا يجاوره .

ثمَّ تخيَّل هل يُمكن الوُصول إلى هذا المراد الذي أراده النَّظم الكريم بأسلوب آخر غير أسلوب الفرض والتقدير ؛ إذ تراه جعل في مكنة الأحبار إزالة الشكّ والرَّيب عن كلّ ما يعرض للرسول الخاتم ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أمر المنزَّل عليه وهو القرآن الكريم، وإذا كان كذلك ، فهذا يعني تمكُّن وصف هؤلاء القوم بصفة الرّسوخ في العلم إلى غير نهاية ، وهذامايقصده النظم الكريم ويحاول تبيانه للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

فأسلوب الفرض والتقدير إذًا مِن مُقتضيات النَّظم ، ومن دواعي مقتضى الحال ، وأنَّه لا يحسُن كغيره مِن الأساليب الرَّفيعة إلا إذا وُضِع موضعه الأشكل به ، ولعلَّ تنوُّع شواهده ودورانها في ألوان البيان العالي المختلفة ، إذ تراه في النَّظم الكريم ، وفي البيان النبوي ، وغيره ، يعكِس مَدَى حاجة المتكلِّم إليه في موضعه ، ويُترجم مَدى قيمته البلاغية العالية ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الكشاف ٢ / ٣٥٢ .

الفصل الأوَّل

: طَرَائِقُ الفرْض والتقدير ، ودلالاتُهُ ، في فصيح الكلام .

لِكلّ أُسلوب مِن الأساليب البلاغيَّة الرَّفيعة طرائق وآليات توظَّف لذلك ، بحيث تكون الأوفق دون غيرها ، وهذا يعني أنَّ اختيار آليات بعينها لأسلوب بعينه ، ملْحُوظ فيه مَدى قُدرة تلك الطَّرائق على الوفاء بقِيم وعَطَاءات الأُسلوب البلاغيَّة ، والتي تَفي بِحاجَة المُتكلِّم ومَقصوده .

ومِن ذلك مثلا : الاستطراد فقد وُظِّفت له آليات هي الأقدر دون غيرها علَى تحقيق ذلك ، ويبدو ذلك جليًّا في مفهوم مَعنى الاستطراد بأنَّه : هو أن يكون المتكلِّم في معنى فيخرج منه بطريق التَّشبيه أو الشَّرط أو الإخبار أو غير ذلك ، إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا أو غير ذلك [١] .

تأخذ الدِّراسة علَى عاتقها في هذا الفصل تبيان مقصودها الرَّئيس وغايتها الأسْمى ، وهي الوقوف على طرائق التعبير بالفرض والتقدير في فصيح الكلام ، وما يتبع ذلك من دلالات ومعان وأغراض بلاغية ، ويجري ذلك وفق مبحثين على النحو الآتي :

المبحث الأول : طريق الشَّرط والجزاء . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (إن) .

المطلب الثاني : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (لو) .

المطلب الثالث : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (من).

المبحث الثاني : طريق الاستفهام الإنكاري . وفيه مطلب وحيد هو : الفرض والتقدير في سياق الاستفهام الإنكاري بالهمزة .

---

(١) ينظر : تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ص ١٣٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول :

طريق الشَّرط والجزاء .

يعتبر الشرط أحد متعلقات الفعل المهمة ، وهو يؤدي دورا بالغ الأهمية في الجملة ، ويعنى الشرط : " تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني " (١)

ثمَّ إنَّ لأسلوب الشرط مزية أسلوبية أشار إليها الراجحي ــ رحمه الله ــ عند قوله : " في أسلوب الشرط طاقة بلاغية وشحنة قوية من إثارة الانتباه والترقب والانتظار ، والتطلع إلى مجيء جواب الشرط بعد استرسال النفس في إدراك معاني فعل الشرط في أول الجملة الشرطية ، فلا تزال النفس مندمجة في تأمل معنى الشرط وفعله وجملته متأنية متفهمة واعية له في تأمل وانتظار لمجيء جوابه ، حتى إذا ما وصلت إلى الجواب ووصل إليها الجواب بعد طول غياب وانتظار وقع منها موقع الشيء المنتظر ، فتمكن منها فضل تمكن ، وقر في أعماقها أي قرار .

نعم : إنَّ الجملة الشرطيَّة ــ كما يؤخذ مِن كلام النحاة والبلاغيين ــ جملة دسمة عجيبة تجمع بين أمرين بينهما تضاد ، فهي إنشائية في صدرها ؛ لأنَّ الشرط إنشاء لا محالة كالنداء والقسم والتعجب والعقود ، وكل ما ليست له نسبة خارجية يتوجه إليها الصدق والكذب ، ثم هي بعد ذلك في شرطها تكون خبرية في جوابها ، حتَّى وإن كان في الجواب طلب فيكون ملخصها أنَّ جوابها واقع عند حصول شرطها ، ولعلَّها من أجل ما فيها من هذه الطاقة البلاغية النفسية كثر ورودها في كثير من فواتح سور القرآن لتكون براعة استهلال

---

(١) التعريفات للجرجاني ــ تح : إبراهيم الأبياري ص ١٦٦ ــ ط : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط : أولى – ١٤٠٥ هـ .

تستقطب الانتباه وتستحوذ على المشاعر لتفتح لها الطريق إلى ما بعدها من آيات السورة الكريمة " (١)

****

هذا ، والتقييد بالشرط كالتقييد بحروف الجر لـه اعتبارات نحوية ظاهرة تعرف بمعرفة ما بين أدواته من الفروق في معانيها النحوية ، ولكن بعض هذه الأدوات لا يخلو اعتباره من أسرار ولطائف يزيغ فيها كثير من الخاصّة عن الصواب ، لأن هذه الأدوات كثيراً ما يستعمل بعضها مكان بعض ، فيظن أنَّه لا فرق بينها في ذلك ، وأنَّها لا تجري فيه وراء اعتبارات دقيقة ، وهذه الأدوات هي : إنْ وإذا ولو (٢)

المطلب الأول :

الفرض والتقدير في سياق الشرط بـ (إن) .

تعتبر (إنْ) الشرطية أصل أدوات الشرط ، فقد عدها النحاة أُمّ أدواتِ الشرطِ لوجهين : أحدهما : أنها حرفٌ وغيرها من أدواته اسمٌ ، والأصلُ في إفادةِ المعاني الحروفُ . والثاني : أنها تُستعمل في جميع صُوَرِ الشَّرطِ ، وغَيْرُها يَخُصُّ بعضَ المواضع فـ (مَنْ) لمن يَعْقِل ، و(ما) لما لا يَعْقِل، وكذلك باقيها ، كلٌّ منها ينفردُ بمعنىً ، و(إنْ) مفردةً تصلحُ للجميع (٣)

---

(١) راجع : مجلة الوعي الإسلامي ــ عدد (٢٧٣) ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م ــ موضوع بعنوان : (مع سورة الواقعة دراسة وتحليل فاتحة السورة) للدكتور / عبد الغني الراجحي ص ٧٤ .

(٢) البلاغة العالية ــ علم المعاني ــ للشيخ عبد المتعال الصعيدي ــ تقديم د / عبد القادر حسين ص ٩٩ ــ ط : مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ ط : ثانية ــ ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م .

(٣) ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ــ تح : د / عبد الإله نبهان ٢ / ٥٠ ــ ط : دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ ودار الفكر ــ دمشق ــ ط أولى ــ ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذه الأداة من بين أدوات الشرط يؤثر أهل البصر بالكلام توظيفها لإفادة معنى الفرض والتقدير ــ موضع الدِّراسة ــ وذلك حين يعلَّق الكلام على شرط مُحال الوقوع ، يقول الطَّاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ : " (إنْ) : أصل أدوات الشرط ، ما لم يكن هنالك مقصد لتحقيق حصول الشرط فيؤتى ب (إذا) ، فإذا كان الشرط مفروضاً فرضاً لا قصد لتحقيقه ولا لعدمه جيء بـ (إن) " (١)

والأصل في (إنْ) أن لا يكون الشَّرط فيها مقطوعا بوقوعه ، كما تقول لصاحبك : إنْ تكرمني أكرمك ، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك (٢)

****

مِن شَوَاهد الفرض والتقدير التي وُضعت في قالب الشَّرط المُصدَّر بـ (إنْ) الشَّرطيَّة في فصيح الكلام قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣)

إنَّ زوال السَّموات والأرض أمر مُحال ، وشرط لا يتحقَّق بحال ، لكن إيثار الشَّرط المحال في الآية الكريمة : ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ مقصود لتحقيق غاية النَّظم الكريم ومقصوده ، فلجملة الشَّرط هنا دلالات وإيحاءات عديدة ، تشهد بثراء أساليب النَّظم الكريم ومفرداته ، تأمَّل تجد أنَّ مَقْصود النَّظم مِن الأسلوب تصوير طلاقة يد القُدرة الإلهية وهيمنتها على كُلّ المَخلوقات من وجه ، وتقرير خَوَر الآلهة

(١) التحرير والتنوير ٢ / ٣٩٢ .
(٢) الإيضاح للخطيب القزويني ــ تح : الشيخ بهيج غزاوي ص ٨٨ ــ ط : دار إحياء العلوم ــ بيروت ــ ط : رابعة ــ ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .
(٣) سورة فاطر : ٤١ .

التي تُعبد مِن دون الله مِن وجه آخر ، وتخويف هؤلاء المشركين وزجرهم وتعنيفهم وتبكيتهم على عبادة غير الله من وجه ثالث ، فتأمَّل جَلال المقام الذي يُوَظَّف فيه هذا الأسلوب هنا في النَّظم الكريم تُدركْ ثراه الدَّلالي حِينئذٍ .

هذا ، وتزاحم أدوات التوكيد في الآية الكريمة يَتَناغم مع دلالات أُسلوب الفرض والتقدير وإشاراته ، فالآية صُدِّرت بالخبر المُؤكَّد بإنَّ واسمية الجُملة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ ، وفي هذا مِن تقوية مَضْمون الجُملة وتقرير معناها في نُفوس هؤلاء المُشركين ما لا يَخْفى .

ثمَّ يأتي أسلوب الفرض والتقدير : ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ ليُقرِّر المَعنى ثانيًا بوجه هو أبلغ مِن سَابقه وآكد ؛ لأنَّ أسلوب الفرض هُنا يُترجم فَرْط القدرة الإلهية ، ويُقرِّر الخَوَر والضَّعف في آلهتهم ، فدلالته كما ترى أعمّ وأشمل ، كما أنَّ في بنيته وردت (مِن) في قوله : (مِن أحد) لتأكيد النَّفي : (إنْ أمسكهما مِن أحد مِن بعده) .

ويأتي اقتران وصف الذَّات العليَّة بالحِلم والغُفْران في تذييل الآية الكريمة : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ ليفتح لهؤلاء الجاحدين نافذة توبة وأمل فسيح في الرجوع إلى الله تعالى ، والإيمان به وحده وتنزيهه عن الأنداد والشُّركاء ، ففيه من التَّرغيب ما لا يخفى .

هذا ، وقد أبرز النَّظم الكريم لهؤلاء القوم أوصاف الله سبحانه وتعالى في صورة تبرز كمال الوصف وتمامه ــ وكلّ أوصاف الجلال والجمال له سُبحانه أوصاف كمال ــ وذلك مِن خلال تصدير الوصف بـ (كان) الدَّالة على ذلك ، تلاؤما مع حالهم ، مِن فرط الجهل بما يليق بالإله الذي يستحقّ وحده العِبادة والخُضُوع .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لقد تدَّرج النَّظم القرآني في خِطاب هؤلاء المُعاندين ، فبدأ بتقريرهم عن طريق الاستفهام التقريري وما بُني عليه ، والذي يحمل في طيَّاته تعجيز شركاء ومعبودات هؤلاء المُعَاندين وتقريعهم ، وفيه من تبيان ضعفهم وعجزهم وأنَّهم لا يستحقون أن يكونوا آلهة تعبد ، ما لا يخفى ، فقد حكى النَّظم الكريم ذلك قبل موضع الشَّاهد عند قوله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، ثمَّ ثنَّي بحكاية افتراض الأمر المُحال ، وهو زَوال السَّموات والأرض ، ليطبع فيهم ــ عقب حكاية خور الأصنام التي يعبدها هؤلاء القوم في الآية السابقة ــ حقيقة الإله القادر الذي له الحكم والأمر في كل شئون هذا الكون الهائل ، فتأمَّل جلال الأسلوب ، وتأمَّل طريقة توظيفه ، ومرتبته من البيان ، والله تعالى أعلم .

****

ولورود أسلوب الفرض والتقدير في سياق الشَّرط بـ (إنْ) أغراض بلاغية ، ودلالات مُهمة ، يصعب استقصاؤها ما دام هناك مِن البلغاء مَن يُحسن توظيف الأساليب ويضعها في موضعها الأشكل بها والأوفق ، ومِن ذلك أيضا : التهييج : كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١)

حيث تلاحظ أنَّ الخِطاب في قوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، والشَّرط " وارد على طريقة الفرض

(١) سورة الزمر : آية ٦٥

لتهييج الرُّسل وإقناط الكفَرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك ، وقبحه ، وكونه بحيث ينهي عنه من لا يكاد يُمكن أن يُباشره، فكيف بمن عداه ؟ "[١]

والمُلاحظ هنا أنَّ أسلوب الفرض والتقدير : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ جاء في أعقاب الاستفهام الإنكاري :﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ لأنَّه أكثر حدَّة منه ، حيث خرج أسلوب الفرض والتقدير في ثوب الشَّرط المؤكَّد بالقسم ، واشتمل كذلك على العاقبة الأليمة كما ترى ، وهي إحباط العمل من ناحية ، وعَدِّ مقترفه مِن الخاسرين مِن ناحية أُخرى ، ناهيك عن خروج أسلوب الفرض والتقدير في صورة الخطاب المُباشر وهو قاس مُرّ كما تَرَى ، وخروج أُسلوب الفرض والتقدير مُؤكَّدا مظهر آخر مِن مظاهر شدة الحِدَّة وعنفها ، والفرض والتقدير مع ذلك ينسجم مع الاستفهام في الآية السابقة أحسن انسجام ، ومِن ثمَّ يُمكن أن يُقال : إنَّ أُسلوب الفرض والتقدير يأنس بغيره مِن الأساليب البلاغيَّة ، ويتجاوب معها .

هذا ، والتغليظ والوعيد دلالتان يُمكن أن يتضمَّنهما أُسلوب الفرض والتقدير في الآية الكريمة " فقد قال أصحاب الشَّافعي : بل هو خطاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على طريق التغليظ على الأمة ، وبيان أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله ، فكيف أنتم ! لكنه لا يشرك لفضل مرتبته [٢] وفي هذا من بالغ التحذير من عاقبة الإشراك ما لا يخفى ؛ لأنَّ ربنا سُبحانه وتعالى لو كان يغفر للعباد إشراكهم لكان أولى بالمغفرة حبيبه المُصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم .

****

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧ / ٢٦٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٣ / ٤٨ ــ ط : دار الشعب ــ القاهرة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن دلالاته البلاغية أيضًا : التحذير والتهييج والإلهاب ، وقد اجتمعت هذه الدَّلالات في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١) .

فمن المُحال أن يتوقع وقوع مضمون الشرط وهو اتباعه صلوات الله عليه لقبلة وهوى هؤلاء المُشركين ، والذي حكته الآية الكريمة في قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ذلك لأنَّ النَّظم الكريم قد حسم الأمر ابتداء في صدر الآية الكريمة عند قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ والذي تضمَّن معنى التحذير والنهي عن اتِّباع قبلتهم ، ولاسيَّما أنَّ التعبير قد بُنيت جُملته على الثبوت والدوام ؛ إذ الجملة كما هو باد في قالب الاسمية .

هذا ، وتحمل جملة النَّفي : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ أيضًا معنى التيئيس ، والغرض " قطع أطماعهم الفارغة ، حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عليه الصَّلاة والسَّلام ، وطمعا في رجوعه " (٢)

مع أنَّ الشَّرط في صدر الآية الكريمة : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ لم يخرج إلى معنى الفرض والتقدير ، إذ إنَّ الآية الكريمة تصوِّر عناد القوم ومكابرتهم عن اتباع الحقّ الواضح ، والواقع يشهد بأنَّه ــ صلى الله عليه

(١) سورة البقرة : ١٤٥
(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١ / ١٧٥ .

وسلم ــ أكملَ البلاغ كما ينبغي ، وواجههم بكل آية أمر صلى الله عليه وسلم بتبليغها ، فقد كانت كلّ غايته أن يقبلوا ما جاء به من عند الله ، فأبوا وأصروا على عنادهم .

فقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله :﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل بمعنى : ولئن اتبعتم مثلا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر : ﴿ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المُرتكبين الظُّلم الفاحش ، وفي ذلك لطف للسَّامعين ، وزيادة تحذير واستفظاع لحال مَن يترك الدَّليل بعد إنارته ، ويتبع الهوى ، وتهييج وإلهاب للثبات على الحق (١)

فمجيء أسلوب الفرض والتمثيل عقب جُملة النَّفي الدَّالة على الثبوت والدوام لون مِن التقرير ، وتأكيد الحُكم ، وهذا مردّه فرط العناية بخطورة الاتِّباع لليهود أو النَّصارى على ما ترى .

هذا ، وخروج التحذير الذي تضمَّنته جُملتا الشَّرط والجزاء في ثوب الفرض والتقدير فيه تلاؤم مع مقامه الشَّريف صلوات الله عليه ولاسيَّما أنَّ الآية الكريمة في ثوب الخِطاب الصَّريح ، فكان جديرا بالنَّظم الكريم أن يَسُوق الخطاب في ثوب الفرض والتقدير لتخفيف وطأته وحدَّته على نفس رسولنا الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم .

****

ومن أغراض الفرض والتقدير البلاغية ما أشار إليه الشيخ محمد محمد أبو موسى حين عرض لإفادة (إنْ) الشرطية للفرض والتقدير في

(١) الكشاف ١ / ٢٢٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)

فقد ذكر شيخنا ــ أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية ــ أنَّ قوله ــ جلَّ شأنه ــ : ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ ﴾ كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل ، يزيد هذه الطبيعة كشفا وتحليلا ، وجاء مع (إن) التي لا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه دون (إذا) التي يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه ؛ ليفيد أن عودة الأحزاب وإن كان أمرا غير مقطوع به يكون مبعثا لهذه الودادة منهم ، فنفوسهم مهيأة دائما للتولّي والفرار ، والاستقبال في (إن) يفيدنا أنَّ ما كان منهم في الماضي هو الكائن منهم الآن ، والذي سيكون منهم في المستقبل ، وهو المتجدد مع تجدد هذا الزمان ، فالجُبن فيهم جُبْلة لا تزول (٢)

والآية الكريمة تصف نفوس المنافقين الفزعة ، وتحلل هذه النفسية تحليلا رائعًا تلحظ فيه قوله : ﴿ يَحْسَبُونَ ﴾ وما تصفه من وسوسات الوهم والخوف ، وهي كلمة ذات مدلول نفسي ؛ لأنَّها تصف أحوالا وخواطر وهواجس ، وكلّها أحداث وأفعال داخل النَّفس ، وصيغة المضارع تشعرنا بأنَّ القوم كأنَّهم لا يزالون إلى اليوم خائفين متوجّسين تتوارد على خواطرهم الأوهام ، تريهم الأحزاب حول الخندق رابضين (٣)

فالمعركة انتهت ، والأحزاب لن يأتوا ثانية عند الخندق لقتال هؤلاء المنافقين ، ولكن جملة الشَّرط بتمامها :﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٠
(٢) من أسرار التعبير القرآني ص ١٥٨ .
(٣) من أسرار التعبير القرآني ص ١٥٧ .

﴿ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ صوَّرت كذب المنافقين وبالغ جبنهم عند اللقاء ؛ إذ صوَّر القرآن علَّتهم عن الخروج للقتال معه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كما حكاه القرآن عنهم : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

****

ومن دلالاته البلاغية أيضا : التبكيت : ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١)

يقول الزمخشري ــ رحمه الله ــ : " فلا يوجد إذًا دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقًّا حتَّى إنْ آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين ، فقيل (فإن آمنوا) بكلمة الشَّكّ على سبيل الفرض والتمثيل ، أي : فإنْ حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصِّحة والسَّداد فقد اهتدوا ، وفيه أنَّ دينهم الذي هم عليه ، وكل دين سواه مغاير له غير مماثل ؛ لأنَّه حق وهدى ، وما سواه باطل وضلال " (٢)

والذي يظهر لي أنَّ لأسلوب الفرض والتقدير في قوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ دلالة أخرى مع التبكيت ، وهي تيئيس القوم مِن إمكان وجود ما يماثل دين الإسلام في الكمال بوجه عام .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ ــ ١٣٧ .

(٢) الكشاف ١ / ٢٢١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونحو هذا[١] قولك للرجل الذي تشير عليه : هذا هو الرَّأي الصَّواب ، فإنْ كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به ، وقد علمتَ أن لا أصوب مِن رأيك، ولكنَّك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أنَّ ما رأيت لا رأي وراءه [٢]

وفي رأيي : أنَّ لأسلوب الفرض والتقدير أيضًا في قول الزَّمخشريّ مُمثِّلا : هذا هو الرأي الصواب فإنْ كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به ، دلالة أخرى غير التبكيت وهي تحفيز المُخاطَب وتوجيهه بقوة للعمل بالمشار به من رأي ، وفيه أيضًا مِن امتداح الرأي المُشار به ما لا يَخفى ، والدَّلالات البلاغية أيضًا لا تتزاحم .

****

ومن دلالات أُسلوب الفرض والتقدير في ثوب الشرط بـــ (إن) أيضًا : التَّمنِّي والطَّمع ، ومنه ما جاء في قوله تعالى وهو يضرب مثلا للمؤمن والكافر :﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ [٣] .

---

(١) يُشير الزمخشريّ إلى دلالة التبكيت في قوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

(٢) الكشاف ١ / ٢٢١ .

(٣) سورة الكهف : ٣٢ ــ ٣٦ .

تأتي الآيات الكريمة عقب بيان القرآن الكريم لعاقبة أهل الإيمان وأهل الكفر ، حيث " ضرب مثلاً للفريقين : للمشركين وللمؤمنين بمَثل رجلين كان حالُ أحدهما معجباً مؤنقاً وحال الآخر بخلاف ذلك ؛ فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة تَبَاباً وخسارة ، وكانت عاقبة الآخر نجاحاً ، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء ، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسُنن الله في العالم من التذكير والتدبُّر في العواقب فيكون معرّضا للصلاح والنَّجاح " (١)

فقوله سُبحانه : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ هو موضع الشاهد ، وقد جاء على لسان الكافر ، فقوله الذي حكاه القرآن الكريم عنه : " إقسام منه على أنَّه إنْ ردَّ إلى ربه على سبيل الفرض والتمثيل ، وكما يزعم صاحبه ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنَّته في الدنيا تطمعاً وتمنِّياً على الله وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده ، وأنَّه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله ، وأنّ معه هذا الاستحقاق أينما توجَّه " (٢)

فانظر كيف جسَّد أسلوب الفرض والتقدير تشهِّي هذا الكافر المتكبِّر العنيد وجود خيرا مِن جنته يوم القيامة ، وتمنِّيه ، وطمعه الشَّديد في ذلك ، رغم اعتقاده بعدم قيام السَّاعة ولاسيَّما قد جاء كلامه في ثوب الشَّرط مؤكَّدا بالقسَم .

وقد تجاوب أسلوب الفرض والتقدير مع القسم كما ترى ، فالقسَم ضرب من التأكيد يترجم غرور هذا الأخ الكافر ، وتغطرسه ، وأنَّه لا يشكّ لحظة أنَّ جنَّته قد تزول عنه يوم القيامة ثقة بنفسه، وعنادا لأخيه المؤمن.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ٣١٥ .

(٢) الكشاف ٢ / ٦٧٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي التحرير والتنوير : " دلَّ فعل المحاورة على أنَّ صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصَّالح ، فراجعه الكلام بالفخر عليه والتطاول ، شأن أهل الغَطْرسة والنقائص أن يعدلوا عن المُجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء " (١)

فالقسَم حين يجتمع مع الشَّرط ضرب مِن الكلام الجزل ، وهو يدلُّ على قوَّة المعنى (٢) ففي التعبير بالفرض والتقدير الذي وُضع في قالب الشَّرط المؤكَّد بالقسم تلاؤم بيِّن مع حال هذا المَغرور المُتكبِّر .

وقد أشار الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ إلى جواز أن تكون دلالة أسلوب الفرض والتقدير هنا التَّهكُّم ، وقرينة التَّهكم قوله : ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وهذا كقول العاصي بن وائل السهمي لخباب بن الأرت : (ليكونن لي مال هنالك ، فأقضيكَ دينك منه) (٣) وأكَّد كلامه بلام القسم ونون التوكيد مُبالغة في التهكُّم (٤) ولا غَرْو في ذلك ، فالنِّكات البلاغيَّة لا تتزاحَم ، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه .

هذا ، ومن نافلة القول هنا الإشارة إلى أن الشَّرط الذي يفيد الفرض والتقدير قد يكون مقدّرا ، يدلّ عليه جوابه ، ومِن ذلك الفرض والتقدير في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (٥)

---

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ٣٢٠ .

(٢) ينظر : آل حم الشورى ــ الزخرف ــ الدخان ص ٢٦٦ .

(٣) يبدو للناظر أنَّ وجه التنظير بين ما حكته الآية الكريمة وبين قول العاصي بن وائل هنا الاشتراك في إنكار البعث والتهكُّم بمَن يقول به من أهل التوحيد .

(٤) التحرير والتنوير ١٥ / ٣٢١ .

(٥) سورة الأنعام : ٥٧ .

فـــ " جملة : (قد ضللت إذا) جواب لشرط مقدّر ، أي : إنْ اتَّبعتُ أهواءكم إذَنْ قد ضللتُ . وكذلك موقع (إذَنْ) حين تدخل على فعل غير مستقبل فإنَّها تكون حينئذٍ جواباً لشرط مقدّر مشروط ب (إنْ) أوْ (لـوْ) مُصرّح به تارة ، كقول كُثَيِّر :

لَـئنْ عـاد لـي عبـد العزيـز بمثلـها ∴ وأمكـــنني منهـــا إذَنْ لا أقيلـــها [1]

ومقدّرٍ أخرى كهذه الآية ، .... وتقديم جواب (إذن) علـى (إذَنْ) في هذه الآية للاهتمام بالجواب . ولذلك الاهتمام أكّد بـ (قد) مـع كونـه مفروضاً ، وليس بواقع ، للإشارة إلى أنّ وقوعه محقّق لو تحقّـق الشـرط المقدّر الذي دلّت عليه (إذَنْ) " [2]

وللفرض والتقدير في الآية الكريمة دلالة عناها النَّظم الكـريم وهـي التعريض بضَلال القوم ونفي الهِداية عَنهم ، وقد حسُن إلى غير حـدّ هـذا الأسلوب في هذا المَقام الذي يجمل بالمخاطِب (بكسر الطاء) أن يصل إلـى كلّ ما يريده مِن نفس المخاطَب بألين قول ، فأثر القول اللين لا يُقارع بحال ، وفيه مَع التعريض بذمّ المخاطَب التعريض بمدح النَّفس (أعني المخاطِب) فهذه الطَّريقة مِن التعبير فيها من الإشارة إلى بالغ الأدب ولطف التعبير .

وهكذا نجد أنَّ (إنْ) الشَّرطية ليست خالِصة للشَّرط المَحْض فحسب ، بل تؤدي ــ إذا طلبها السِّياق واستدعاها ــ معنى الفرض والتقدير ، وذلـك لقرب ما بينهما ، والله تعالى أعلم .

* * * * * *

(١) ديوان كُثَيِّر عَزّة ــ جمعه وشرحه / د إحسان عباس ص ٣٠٥ ــ ط : دار الثقافة ــ بيـروت ــ لبنان ــ ١٣٩١ ه ــ ١٩٧١ م .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور٧ / ٢٦٣ ــ ط : دار سحنون ــ تونس ــ ١٩٩٧ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني :

الفرض والتقدير في سياق الشرط بـ (لو) .

من أدوات الشَّرط (لو) ، قال عنها سيبويه ــ رحمه الله ــ : وأمَّا لو فلِمَا كان سيقع لوقوع غيره [١] وهي أيضًا كـ (إنْ) تنتقل دلالاتها من الشَّرط المحض لتستعمل في معنى الفرض والتقدير ، فـ (لو) كما يقول الطَّاهر بن عاشور : " هي الأداة الصالحة لفرض الشَّرط من غير تعرّض لإمكانه ، فيصدق معها الشرط المتعذّر الوقوع والمستبعدة والمُمْكِنُة " [٢].

وترد (لو) للتمني لتلاقيهما في معنى التمثيل نحو : (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ) ، والتحضيض : نحو : (لو تسلم فتدخل الجنَّة) أي هلَّا تسلم ، والتقليل : نحو قوله عليه الصَّلاة والسَّلام [٣] : رُدُّوا السَّائل ولو بظِلْف مُحْرَق ، يعني المشوي المنتفع به [٤]

ولورود أسلوب الفرض والتقدير في ثوب الشرط المصدر بـ (لو) أغراض بلاغية ودلالات مهمَّة ، منها : التحقير ، أو نقول : بيان منزلة

---

(١) الكتاب (كتاب سيبويه) ــ تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ٤ / ٢٢٤ ـــ ط : مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ــ ط : ثانية ــ ١٤٠٢ ه ــ ١٩٨٢ م .

(٢) التحرير والتنوير ٤ / ٢٥٣ .

(٣) الحديث مرسل ورجال إسناده حسن . ينظر : البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره) تأليف : الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزي ــ تح : د. محمد سعيد بخاري ص ١٥٢ ورقم الحديث ٢٩٥ ــ ط : دار الوطن ــ الرياض ــ ط : أولى ــ ١٤١٩ ه .

(٤) ينظر : الكليات ــ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ــ تح : عدنان درويش ــ محمد المصري ــ ص ٦٨٧ ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤١٩ ه ـــ ١٩٩٨ م .

الظَّلْف والظِّلف : ظفرُ كل ما اجترّ ، وهو ظِلْف البَقرة والشاة والظبْي وما أَشبهها . ينظر : لسان العرب ــ مادة (ظلف) .

الشيء من العظم أو الحقارة ، ومن ذلك ما جاء في حديثه صلوات الله عليه: (لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار) (١)

فقد قال الطِّيْبِي ــ رَحِمهُ الله ــ : " ... وتحريره أنَّ التمثيل وارد على المُبالغة والفَرْض .. أي : ينبغي ويحق أنَّ القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يُؤبه به ، ويُلقى في النَّار ما مسَّته ، فكيف بالمؤمن الذي هو أكرم خلق الله ، وقد وعاه في صدره ، وتفكر في معانيه ، وعمل بما فيه ، كيف تمسُّه فضلا عن أن تحرقه ؟! " (٢)

فكلامه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وارد في سياق الحديث عن الجزاء الجزيل والمنزلة الرَّفيعة التي أعدّت لأهل القرآن ، وأنَّه ــ سُبحانه وتعالى ــ قد حرَّم أجسادهم على النَّار ، فعدوله ــ صلوات الله عليه ــ عن البيان الصريح لعاقبة هؤلاء إلى أسلوب الفرض والتقدير مقصود منه المبالغة في إبراز عظم منزلتهم عنده سُبحانه ، فكون هؤلاء أوعية للقرآن قد حجب عنهم النَّار ، وأنَّ عطاء القرآن لهم في الآخرة جزيل ووفير ، وفيه أيضًا تلمس عُموم الجزاء ، وأنَّ أجساد أهل القُرآن جميعهم مِن دون استثناء محرَّمة على النَّار ؛ إذ جعل ــ صلوات الله عليه ــ تحريم النار موصولا لكل وعاء حامل للقرآن الكريم ، ولو كان هذا الوعاء حقيرا ، وهذا مِن بالغ الإنعام وتمامه .

وبالتأمُّل في أسلوب الفرض والتقدير في الحديث الشَّريف يبدو لي أنَّ الأسلوب يحمل أيضًا في طياته معنى التحفيز لأهل الإيمان بأن يلتفّوا حول

---

(١) رواه الطبراني ، وفيه عبد الوهاب بن الضحاك ، وهو متروك . ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٧ / ٣٢٩ ، ورقم الحديث ١١٦٢٩ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ٥ / ٣٢٤ ــ ط : المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ط : أولى ــ ١٣٥٦هـ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القرآن طمعًا ورجاء فيما أعدّ لهم مِن الثواب العظيم ، يقول صاحب مرقاة المفاتيح : " وإذا كان هذا شأنه مع هذا الجلد الحقير الذي جاوره في ساعة، فما ظنُّك يجوف الحافظ له ، وجسد العامل به الذي استقرَّ فيه أزمنة عديدة ، ومددا مديدة ، فيكون حفظه لخوفه من نار البعد والحجاب ، ونار جهنم أحرى وأولى وأبلغ وأقوى " (١) فيا سَعد مَنْ حَفظ كتاب الله في صدره ، وعمل بما فيه ، اللهمَّ اجعلنا منهم .

****

ومن المقاصِد البلاغيَّة للفرض والتقدير في ثوب الشَّرط بـ (لو) : تقريب المعنى في النّفوس ، ليلزم عن التقريب إبراز عظمته وفخامته ، ومنه ما جاء في قوله عزَّ شأنه : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ (٢) .

يقول الطَّاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ " لما بُني الكلام على الفرض والتمثيل بما يدل عليه : (لو) كان المعنى : لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ، وكانت كلمات ربي ممَّا ينفد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي .

وهذا الكلام كناية عن عدم تناهي معلومات الله تعالى التي منها تلك المسائل الثلاث التي سألوا عنها النبيّ ــ صلى الله عليه وسلَّم ــ فلا يقتضي قوله : ﴿ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾ إن لكلمات الله تعالى نفادا كما علمته " (٣)

---

(١) مرقاة المفاتيح ٥ / ٤٠ .

(٢) سورة الكهف : ١٠٩

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٥٤ .

وللشَّرط هنا له دلالة بلاغية عناها النَّظم الكريم قد اقتضاها أسلُوب الفرض والتقدير ، وهي الدّلالة على التناهي في العظم ، وأنَّ ما يحويه كلام الله العزيز من مسائل وآداب وأحكام وعلم و... لا يحصى .

هذا ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ " يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآن غَيْر مَخْلُوق ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ لَهُ قَدْر، وَكَانَتْ لَهُ عِنَايَة، وَلَنَفِدَ كَنَفَادِ الْمَخْلُوقِينَ"(١) فالتعظيم والتحقير إذًا دلالتان يؤديهما أسلوب الفرض والتقدير الذي يجيء في ثوب الشرط بـ (لو) كما رأيت .

****

هذا ، ومثله في تبيان عظمة كتاب الله الكريم ، وأثره على الجبال الصُّلبة خاصة ، وذلك على طريقة الفرْض والتقدير أيضًا ، قوله عزَّ شأنه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

يقول أبو حيَّان ــ رحمه الله ــ : " هذا من باب التخييل والتمثيل ، كما مرَّ في قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السَّموات) ودلَّ على ذلك : (وتلك الأمثال نضربها للناس) والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه ، وعدم تأثره لهذا الذي لو أنزل على الجبل لتخشع وتصدع ، وإذا كان الجبل على عظمه وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدُّع ، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر " (٣) .

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣ / ٤٤٥ .
(٢) سورة الحشر : آية ٢١ .
(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٨ / ٢٤٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فانظر أيُّها القارئ الكريم في بلاغة التعبير بالشَّرط المُحال هنا تدرك سَعَة المعاني التى يُؤدِّيها ، فالأسلوب ــ كما ترى ــ يُصوِّر جلالة القرآن الكريم وعظمته وفخامته مِن وجه ، ويبرز مَدَى قساوة قلب هذا الإنسان الجاحد المعاند والذي نزل القرآن الكريم لهدايته وإخراجه من الظلمات إلى النور خاصَّة ، وما يُستلزم عن ذلك مِن الزَّجر والتوبيخ والتَّعنيف ، مِن وجه آخر ، وتراه ــ وهذا بيِّن جلِيّ ــ يضع لك الإنسان والجبل في كفتين مُتقابلتين لتدرك عن يقين أيُّهما أرقّ ، وأيهما أشدّ قسوة ، وأيُّهما أكثر امتثالا مِن الآخر ، من وجه ثالث ، ولذا فإنَّ المتأمل يجد أنَّ النَّظم الكريم عبَّر بالإنزال دون التنزيل ، فـــ " لم يقل : لو نزلنا ، تنبيها أنَّا لو خولناه مرَّة ما خولناك مرارا (لرأيته خاشعا) " (١)

ثم إنَّ الأسلوب يشي بالامتنان والإنعام على رسولنا الكريم ؛ إذ إنَّ الآية الكريمة تحتمل أن تكون " خطاباً لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إننا لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لما ثبت له ، بل انصدع من نزوله عليه ، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له ، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال " (٢)

إنَّ الدَّلالات والإيحاءات التي تكمُن في ثنايا هذا الأسلوب ، مع كلّ شاهد من شواهده ، في المنظوم والمنثور ، لا تحدّ بحدّ ، مَع مَا في التعبير به خاصَّة مِن بُلُوغ المُبالغة فيه حَدّ النِّهاية ، وإنْ كانت هناك بقية مِن ريب أو شك فيما أقول ، فاستبدل هذا الأسلوب ــ وكثير مِن فنون البيان على

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ــ تح : صفوان عدنان داوودي ص ٨٠٠ ــ مادة (نزل) ــ ط : دار القلم ــ دمشق والدار الشامية ــ بيروت ــ ط : رابعة ــ ١٤٣٠ ه ــ ٢٠٠٩ م .

(٢) النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي ــ تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ٥ / ٥١٢ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

اختلاف المراتب تُقصد لذلك ــ بأسلوب أُسلوب مِن تلك الأساليب الرَّفيعة ، هل تجد ما يقع من نفسك هذا الموقع ، من بالغ التأثير ، واستظهار الغرض المقصود على أحسن ما يكون .

هذا ، والقول بالفرض والتقدير يناسب قول المعتزلة وأهل السُّنة معًا ، فالمُعتزلة يرون أنَّ " خشية الحجر على وجه المثل ، يعنى : لو كان له عقل لفعل ذلك ، ومذهب أهل السُّنة أنَّ الحجر ، وانْ كان جمادا ، لكن الله يفهمه ويلهمه ، فيخشى بإلهامه ، فإنَّ لله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ، لا يقف عليه غيره ، فلها صلاة وتسبيح وخشية"[(١)] ؛ ذلك لأنَّ المُحَال هنا فعل الشَّرط : (الإنزال) لا فعل الجواب : (رؤية الخشية) ، فإنزال الكتاب ما كان إلا لهداية العقلاء فحسْب ، والأسلوب ــ كما رأيت ــ فيه مِن حُسْن التخييل الذي يُفيد في تقريب المَعَاني ما فيه ، حيث يريك لبعد مَسْرَاه وسعة أفقه ما لا يُرى ، ويطلعك على ما لا يُشاهد ، إلا في دواخل النُّفوس ، وكثير مِن ألوان البَيان تَسْلك ذلك المَسْلك المَحْمود ، فيتأتَّى منها إفادة التَّخييل ، لكن أُسلوب الفرض والتقدير على ما يبدو لي يأتي في مُقدّمة ذلك مَع ما في أسلوب الفرض والتقدير مِن سُهولة المَطلب وغيره ، وراجِع ما عرضت لك مِن شواهد يتبدَّ لك ذلك بوضوح ، والله تعالى أعلم بمُراد كتابه .

****

ومن دلالات أسلوب الفرض والتقدير البلاغية للشرط بلو : التقليل ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : رُدُّوا السَّائل ولَو بظِلْف مُحْرَق

---

(١) روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البرسوي ١ / ١٦٤ ــ ط : دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ــ لبنان ــ من دون تاريخ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالعادة جرت أن يتصدق المرء على قدر سعته ، مهما كان المتصدَّق به قليلا ، لكن لم تجر عادة أن يُتصدَّق بظلف مثلا ، ومن ثمَّ فكلامه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وارد على سبيل الفرض والتقدير ، والمراد منه التقليل أو التحقير ؛ " لأنَّ ذلك أقلّ ما يُمكن أن يُعطي ، وقال : (محرق) ؛ لأنَّه مظنَّة الانتفاع بخلاف غيره ، فقد يلقيه آخذه " (١)

وفي التحقير هنا تجد معه أيضا معنى الحضّ والتحفيز على البذل والإنفاق ، فرغبته ــ صلوات الله عليه ــ من المنفق " أَنْ يُعْطِيَ الْمِسْكِينَ شَيْئًا وَلَا يَرُدَّهُ خَائِبًا ، وَإِنْ كَانَ مَا يُعْطَاهُ ظِلْفًا مُحْرَقًا ، وَهُوَ أَقَلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطَى ، وَلَا يَكَادُ أَنْ يَقْبَلَهُ الْمِسْكِينُ ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْمَجَاعَةِ وَالشِّدَّةِ " (٢)

وكلمة (مُحرَق) لها دلالة قوية عناها البيان النبوي ، وكان لها أثرها البالغ في تقوية المعنى الذي أفاده أسلوب الفرض والتقدير ، وهو التحقير والحطّ من قيمة الظِلف ؛ لأنَّ الظِلف في ظنِّي قد يكون نافعًا للفقير إن احتاج إليه ، أمَّا أن يكون الظِلف مُحرَقا فلا .

قال الطيبيّ : " هذا تتميم لإرادة المُبالغة في ظلف ، كقولها (٣) : كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ ، يعني : لا تردُّوه ردّ حرمان بلا شيء ، ولو أنَّه ظلف ،

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ص ٢٢١ ــ ط : المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م .

(٢) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ٧ / ٢٣٤ ــ ط : دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة ــ ط : ثانية ــ من دون تاريخ .

(٣) يشير الطيبي ــ رحمه الله ــ إلى قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ ∴ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

فهو مثل ضرب للمُبالغة ، والذهاب إلى أنَّ الظلف إذ ذاك كأنَّ له عندهم قيمة بعيد عن الاتجاه " [١]

فوصف الظلف بأنَّه مُحْرَق يعدّ عُنصرا مُهمًّا في إفادة دلالة التحقير إحدى دلالات أسلوب الفرض والتقدير عن طريق الشَّرط بلو كما هو بيِّن .

وكيف لا ، و" للوصف في البيان النبوي أعظم القيمة في كشف المعاني وتحديد المفاهيم ، به تكمل الصورة على الوجه الذي يقررها في النفس تقريراً لا تطلب بعده المزيد .. فالوصف في مكانه لا يمكن الاستغناء عنه لتحديد الدلالة وتحرير المراد " ؟[٢]

فالفرض والتقدير في الحديث الشَّريف يُمكن حمله على معنى التقليل ، ويُمكن كذلك حمله على معنى التحقير وغيره من دلالات كما أسلفنا ، ولا غرو في ذلك ، فالدَّلالات البلاغيَّة لا تتزاحم .

****

ومن هذا الباب أيضًا : قوله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فيما روي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ : كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا ؟ قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ [٣]

---

(١) فيض القدير ٤ / ٣١ .

(٢) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ــ د/ عز الدين علي السيد ص٤١٣ ــ ط : دار اقرأ ــ بيروت ــ ط أولى ــ ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤ م .

(٣) صحيح البخاري رقم الحديث ٥١٥٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فـ " ليست لو هذه الامتناعية ، إنَّما هي التي للتقليل " (١) وإنَّما جعل الشاة غاية في التقليل ليساره وغناه " (٢) فإفادة أسلوب الفرض والتقدير لمعنى التقليل معتبر فيه حال عبد الرَّحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ ولو أنَّ الأمر بالوليمة كان لغيره من الصَّحابة الفقراء لاحتمل أن تكون دلالة الفرض والتقدير التَّمني أو التكثير والتبعيد ، كما سيأتي .

وذكر العيني أنَّ لو في قوله : (أولم ولو بشاة) للتمني ، ورد على هذا بقوله : ليس كذلك ، بل هي للتقليل، نحو: تصدقوا ولو بظلف محرقة(٣)

هذا ، ويمكن حمل أسلوب الفرض والتقدير هنا على معنى التكثير والتبعيد ، قال السّيوطي ــ رحمه الله ــ : " ظاهر هذه العبارة أنَّه للقلة ، أي : ولو بشيء قليل كالشاة ، وقد يجئ مثل هذه العبارة لبيان التكثير والتبعيد ، كَما في قوله : (ولو بالصِّين) فقيل وهو المُراد هنا ؛ لأنَّ كون الشاة قليلة لم يعرف في ذلك الزَّمان (٤)

****

ومثله في دَلالة الأُسلوب على التَّحقير في البيان النبويّ : حديث جابر ــ رضِي الله عنه ــ عن النبيّ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنَّه قال : " لَا يَحْلِف أَحَد عِنْد مِنْبَرِي هَذَا عَلَى يَمِين آثِمَة وَلَوْ عَلَى سِوَاك أَخْضَر إِلَّا تَبَوَّأَ مَقْعَده مِنْ النَّار " (٥)

---

(١) ينظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ــ تأليف : محمد عبد الرحمن المباركفوري ــ ٤ / ١٨٣ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت . وينظر كذلك : عون المعبود ٦ / ٩٨ .

(٢) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٠ / ١٤٤ ــ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ من دون تاريخ .

(٣) ينظر : السابق ٢٠ / ١٥٤ .

(٤) ينظر : شروح سنن ابن ماجة ــ تحقيق وإعداد : رائد صبري أبو علقمة ص ٧٥٤ ــ ط : بيت الأفكار الدولية ــ الأردن ــ ط : أولى ــ ٢٠٠٧ م .

(٥) حديث صححه الألباني . ينظر : سنن أبي داود السجستاني الأزدي ــ تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢ / ٢٤١ ــ ورقم الحديث ٣٢٤٦ ــ ط : دار الفكر ــ من دون .

المقام هنا مقام وعيد وتهديد لمَن يحلف كاذبا عند مِنبر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقد كان أُسلوب الفَرْض والتقدير أحد الأدوات البيانيَّة التي وظَّفها النبيّ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لتحقيق وعيده وتهديده، وقد كان موقع أسلوب الفرض والتقدير في بناء الحديث موقع أساليب الامتداد ، إذ أقحم بِه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في بنية النَّفي والاستثناء ليتمّ للبيان ما أراده ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو النَّهي عن اليمين الكاذبة ولاسيَّما عند منبره الشَّريف ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فقوله : " ولو على سِواك أخضر : تتميم ، بمعنى التَّحقير في السِّواك ؛ لأنَّه لا يُستعمل إلا يابسا " (١) .

وقد أعانت الإشارة بـ (هذا) في قوله : (عِنْد مِنْبَرِي هَذَا) على التَّغليظ كثيرًا ، والإشارة هنا بما تؤدِّيه دلالتها مِن استحضار المُشار إليه حقيقة أو ادِّعاء ضرب مِن ضُروب التوكيد الفعلية التي توظَّف لتحقيق غرَض من مقاصد الكلام كثيرا في البيان النبويّ الشَّريف .

كما أعَان التقييد بالوصف (أخضر) في أسلوب الفرض والتقدير : (ولو على سِواك أخضر) على إفادة التحقير غرض طريق الفرض والتقدير الرَّئيس ، أتمّ إعانة ، فقد " خَصَّ الرَّطْب لِأَنَّهُ كَثِير الْوُجُود لَا يُبَاع بِالثَّمَنِ ، وَهُوَ لَا يَكُون كَذَلِكَ إِلَّا فِي مَوَاطِن نَبَاته بِخِلَافِ الْيَابِس ، فَإِنَّهُ قَدْ يُحْمَل مِنْ بَلَد إِلَى بَلَد فَيُبَاع " (٢)

وقيل : " لَعَلَّ التَّقْيِيد بِالْأَخْضَرِ بِنَاء عَلَى أَنَّهُ يَسْتَبْعِدُ الِاخْتِصَام بَيْن الْعَاقِلَيْنِ فِي مِثْله " (٣) فالتقييد بالوصْف (أخضر) ــ كما ترَى ــ أبرز مُبالَغة في تحقير السِّواك والحَطّ مِن شأن وقيمته ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح ٧ / ٣١٣ .

(٢) ينظر : عون المعبود ٩ / ٥٣ .

(٣) قاله السندي . ينظر : شروح سنن ابن ماجة ص ٨٩٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن الدَّلالات البلاغيَّة أيضًا لأسلوب الفرض والتقدير : التبكيت ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ (١) .

فقد جاء أُسلوب الفرض والتقدير في هذه الآية الكريمة في مقام المُبالغة في تنزيه المولى سُبحانه عن ادِّعاء نسبة الولد له ، وقد حسُن الأسلوب هنا لأنَّ النَّظم الكريم راعي فيه حال المُخاطب من الجهل والعناد ، فكان الأسلوب طريقا من طرق الإقناع التي يوظِّفها النَّظم العالي لصرف أهل الجهل عن مُعتقداتهم الفاسدة ، مع ما في الأسلوب من معاني التبكيت والتوبيخ والزَّجر . وفيه أيضا من مجيء الخطاب متناغيا مع حال المخاطب ، فقد قال القشيري : " خاطَبَهم على قَدْرِ عقولهم وعقائدهم ، فقال : لو أراد الله أن يتخذ ولدا بالتبنِّي والكرامة لاختار من الملائكة ، الذين هم مبرَّؤون من الأكل والشرب وأوصافِ الخلق " (٢) .

هذا ، وقد رمز ذكر مفعول (أراد) المؤول من أن والفعل المضارع في قوله : ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ ﴾ إلى غرابة المفعول ، وأنَّ اتخاذ الولد أمر مُنكر لا يكون ألبتة ، ومن ثمَّ فالكلام خارج على طريق الفرض والتقدير لتبكيت المخاطب وتعنيفه من ناحية ، وللمبالغة في تنزيهه سُبحانه وتعالى عن هذا الادعاء الباطل مِن ناحية أخرى . يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ : " وإذا استقرَيْتَ وجدتَ الأمرَ كذلك أبداً متى كان مفعولُ المشيئةِ أمراً عظيماً أو بديعاً غريباً كان الأحسنَ أن يُذْكَر ولا يُضْمَر ، يقولُ

(١) سورة الزمر : آية ٤ .

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة ــ تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ٥ / ٥٠ ــ ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ٢٠٠٠ م .

الرجلُ يُخبرُ عن عزّة نفسِه : لو شئتُ أَن أردَّ على الأمير رَدَدْتُ ، ولو شئتُ أنْ أَلقى الخَليفةَ كلَّ يوم لقيتُ ، فإذا لم يكن مما يُكْبِره السامعُ فالحذفُ ، كقولك : لو شئتَ خرجتَ ، ولو شئتَ قمتَ " (١)

****

ومن شواهد الفرض والتقدير أيضًا جاء قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ (٢) .

الكلام في شأن إنكار البعث ، واليوم الآخر وما فيه مِن أهوال ، فحين تتأمل تجد أنَّ غاية النَّظم الكريم في سُورة النازعات (٣) هذه التأكيد على وقوع السَّاعة وتفصيل حال المُتعجِّبين ، وكيف تكون قلوبهم التي عجبت من وقوع السَّاعة ، وضرب مثلاً لهم بفرعون وساق ما يَردُّ به على تساؤلاتهم بقدرته على الخلق ، وكرَّر تساؤلهم عن السَّاعة في آخر السُّورة ، فكأنَّ النازعات تفصيل في الرَّدّ عليهم في : ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ (٤).

فقوله سُبحانه : ﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ مَوضِع الشَّاهد ، فالقوم كما تحكي عنهم الآيات الكريمة " لا يؤمنون بتلك الكرَّة ، فوصفهم إيّاها بـ (خاسرة) مِن باب الفرض والتمثيل ، أي لو حصلت كرّة لكانت خاسرة " (٥)

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٣٤ .

(٢) سورة النازعات : الآيات من ٦ ــ ١٢ .

(٣) ينظر مقصد السورة الكريمة في : مقاصد سور القرآن الكريم للدكتورة سهير عيسى القحطاني ــ قسم البلاغة بجامعة أم القرى ــ مخطوطة .

(٤) سورة النبأ : آية ٣ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٠ / ٧١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهنا جاء الشَّرط هنا مُقدَّرا في ثنايا النَّظم ، وقد أشرنا إلى ذلك في التمهيد ، فمجيء الكلام في ثوب الخبر الذي يتضمَّن الشَّرط المُحَال ، غرضُه في ظنِّي تصوير فرط عنت القوم ، وأنَّ إنكار السَّاعة من الأمور المقرَّرة في الأذهان ، فالقوم لا يخالجهم أدنى شك بأنَّ هناك يوما آخر بعد الموت ، وكيف لا ؟ وكلامهم يحمل في ثناياه معنى الاستهزاء والسخرية .

****

ومن دلالات هذا الأسلوب أيضًا التيئيس والتهكم ، ومِن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١) ، والآية قبل موضع الشَّاهد : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ تَذكُر طرفا مِن المَشَاهد الدَّالة علَى قدرته سُبحانه ، وتُذكِّر بخور آلهتهم وعجزها ، ثم تأتي آية موضع الشَّاهد لتبرز ــ في صورة أكثر وضوحا ــ عجز الآلهة عن نفع مَن يعبدونها ، وذلك يشي بعدم الاستحقاق للعبادة ، فالمعبود بحق يجب أن يتصف بأوصاف من شأنها نفع العابدين ، فقوله على طريقة الفرض والتقدير : ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ معناه : " ولو سمعوا دعاءكم إياهم ، وفهموا عنكم أنها قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به ، ما استجابوا لكم ؛ لأنها ليست ناطقة ... فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته ، وهو لا نفع لكم عنده ، ولا قدرة له على ضركم ، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم ، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم " (٢)

---

(١) سورة فاطر : آية ١٤ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ــ تح : أحمد محمد شاكر ٢٠ / ٤٥٣ ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ ط : أولى ــ ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠ م .

فللفرض والتقدير في الآية الكريمة دلالات عديدة : أولها : تيئيس القوم مِن عبادة غير الله ، وثانيها : التهكُّم والتحقير بالمشركين الذين لا يعقلون صفات المعبود بحق ، وفيه أيضا من إقناع القوم بحقيقة ما يعبدون ما لا يخفى .

فحين تتأمَّل أيُّها القارئ الكريم هذا الشَّاهد جيدا تدرك فضل أسلوب الفرض والتقدير في هز مشاعر المخاطب ، وإثارة حسّه ، وتحريك شعوره، وتنبيهه لما هو غافل ، وإيقاظه لما مِن شأنه ألا يغفل عنه .

****

وقد يصوِّر أُسلُوب الفرض والتقدير فرْط الفَجيعة ونكارة الخُسْران ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾ (٢)

فالناظر يجد أنَّ النَّظم الكريم في الآية يوظِّف الأسلوب في تجسيد بالغ الخيبة والحَسرة والنَّدم الذي يصيب الكافرين والظَّالمين يوم القيامة ، فتراهم كما يحكي النَّظم الكريم عنهم يتمنَّون الفداء مِن عذاب الله بملء الأرض ذهبا، في آية آل عمران، وبضِعْف ما في الأرض من متاع، في سورة الزُّمر.

وفي إيثار التعبير بالموصول خاصَّة عن الموصوف في الآيتين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ ﴾ في آل عمران ، و ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ في

(١) سورة آل عمران : ٩١ .
(٢) سورة الزمر : ٤٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سورة الزُّمَر ، إيماء إلى وجه بناء الخبر ، وأنَّ العذاب المُتوعَّد به جدير بالموصوف ، وفي هذا مِن الزَّجر الدَّالّ على قُبح الكفر والظُّلم ما فيه .

يقول النيسابوري : " فإنْ قيل : مِن المعلوم أنَّ الكافر لا يملك يوم القيامة شيئا ، وبتقدير أن يملك فلا نفع في الذهب هناك ، فما فائدة هذا الكلام ؟ فالجواب أنه على سبيل الفرض والتمثيل ، والذهب كناية عن أعز الأشياء ، والمراد أنه لو قدر على أعز الأشياء وفرض أن في بذله نفعاً للآخذ ، وأنَّ المبذول في غاية الكثرة لعجز أن يتوصل بذلك إلى تخليص نفسه من عذاب ربه " (١)

ويحمل أسلوب الفرض والتقدير بين ثناياه تبيان شدة عذاب الله يوم القيامة شدَّة لا توصف ؛ فهو عذاب ــ كما وصفته سور القرآن الكريم ــ (عظيم وأليم وشديد ومهين وغليظ ومقيم وغير مردود وغير مأمون ، وغير ذلك) ، ويحمل أيضًا بين ثناياه ترهيب الظالمين وتخويف العصاة ، وحَمل العباد طُرًّا على عبادة الله ، والإخلاص له في الطاعة ما لا يخفى .

لقد حقَّق الأسلوب كما ترى مقصوده أبلغ تحقيق ، وكان بالغرض وافيا ، وبمراد النَّظم شافيا ، فأيّ تعبير يؤدِّي ما يؤديه في موقعه ؟

إنَّ أُسلوب الفرْض والتقدير حقَّق المُبالغة لكلّ هذه الدَّلالات والإيحاءات جميعا ، وتجد معه ــ حين تتأمَّل ــ المُبالغة في أبلغ صورة ، وأحْسن موقع، والله أعلم .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ــ تح : الشيخ زكريا عميران ٣ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : أولى ــ ١٤١٦ ه ــ ١٩٩٦ م .

هذا ، وقد لَحَظت الدِّراسة حين وقفت مع الآيتين ما يأتي :

الأولى : أن هرع الذين ظلموا إلى الفداء في سُورة الزُّمر أبلغ ، فالمبذول لأجل الفداء ضعف ما في الأرض من متاع : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

الثانية : ذِكْر المُفدَّى منه في سُورة الزمر ، ووَصْفه بأنَّه سُوء العذاب ، يُنبئ عن شدَّة الحسرة وبالغ الفجيعة ، وأنَّ صورة العذاب في هذا الموضع أشدّ من موضع سورة آل عمران .

****

والحاصل : أنَّ لأسلوب الفرض والتقدير عن طريق الشرط بـ (لو) دلالات عدَّة ، منها : التمني ، والتعظيم ، والتحقير ، والتقليل ، والتكثير ، والتقريب ، والتبعيد ، والتبكيت ، والاستهزاء ، والتيئيس والتهكم ، وفرط الفجيعة ، وبالغ الحسرة ، وقد يمكن حمل أسلوب الفرض والتقدير على أكثر من دلالة ، ولا تعارض حينئذٍ ، فالنِّكات البلاغيَّة لا تتزاحَم ، والله تعالى أعلم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثالث :

الفَرْض والتقدير في سياق الشَّرط بـ (مَن) .

مِن أدوات الشَّرط : (مَن) ، وتأتي للدَّلالة على شيئين : أحدهما : الشَّخص العاقل . الثاني : معنى الشرطيَّة ، وهو معنى عرض لها لتضمُّنها معنى (إنْ) الشرطيَّة (١)

وتخرج (مَن) كأختيها (إن) و (لو) الشَّرطيتين من الدلالة على الشَّرط فحسب إلى الدلالة على معنى الفرض والتقدير إنْ كان الشَّرط أو الجواب مُحال الحُصُول .

وحين تخرج أداة الشرط عن معنى الشرطية إلى معنى الفرض والتقدير تتولد لها أيضا دلالات ومعان بلاغيَّة يقصدها البليغ في بيانه ، وهذه الدَّلالات غير محصورة يدركها الناظر بمعونة السِّياق وقرائن الأحوال.

****

مِن الدَّلالات البلاغية لأسلوب الفرض والتقدير في ثوب الشرط المصدر بـ (مَنْ) : التنفير ، والتقبيح ، وغيرهما ، ومن شواهده في النَّظم الكريم قوله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ (٢) .

فالفاحشة التي يضاعف العذاب لهن من أجلها من المحال أن تقع في بيت النبوة ، والكلام وارد على سبيل الفرض والتقدير مبالغة في التنفير من هذه الفاحشة ، ومبالغة في بيان خطرها ، وهو كلام يُلوِّح بسوط العذاب ، وبالغ النقمة ، والغضب على أرباب الخطيئة في الأرض (٣)

---

(١) رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية لابن هشام المصري ـ تحقيق : د / مازن المبارك ـ ط : دار ابن كثير ـ دمشق ـ ط : أولى ـ ١٩٨٧ م .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٠

(٣) من أسرار التعبير القرآني د محمد محمد أبو موسى ص ٢٦٨ .

وبالتأمُّل في بنية الشَّرط تجد النَّظم الكريم قد أتى به مضارعا (من يأت) للدلالة على أنَّ الفعل ، وهو إتيان الفاحشة قبيح منكر في كل زمان ومكان ، صدر من نساء النبي ــ على نبينا وأزواجه الصَّلاة والسَّلام ــ أو من غيرهن ، وفي خروج الشرط الافتراضي في ثوب الخطاب لنساء النبي خاصة (منكن) لون مِن المُبالغة في التقبيح والتنفير .

وتحسن دلالة التنفير والتقبيح مع (مَن) الشرطيَّة الدَّالة على العموم ، إذ يكون التنفير والتقبيح معها أقبح .

هذا ، ويُلمح في أسلوب الفرض والتقدير معنى التهديد وشدة الوعيد لنساء الأمة غير نسائه عليهم السلام ؛ ذلك لأنَّ الآية الكريمة نصَّت على تضعيف الجزاء لأزواج النبي عليه السلام في قوله : ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ وهن ــ رضي الله عنهنَّ ــ من أفضل البشر بعد الأنبياء ، فكيف بغيرهن ؟

ويمكن أن يكون التغليظ قد حمله أسلوب الفرض والتقدير في ثوب هذا الشرط لأزواجه عليه الصَّلاة والسَّلام خاصَّة ؛ إذ " لمَّا كانت محلَّتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذَّنب لو وقع منهن مغلَّظا ، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع " [١]

****

ومن دلالات أسلوب الفرض والتقدير في ثوب الشَّرط بـ (مَنْ) : تفظيع الشَّأن ، ومِن شَواهده في النَّظم العالي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٤٨٣ ــ ط : دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٠١ هـ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالآية الكريمة تتحدَّث عن الملائكة ، أو مجموع الخلائق [١] ، وقال مقاتل : عنى به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه ، وأمر بطاعة نفسه ، فإنَّ أحدا مِن الملائكة لم يقل إني إله من دون الله [٢] ، وقيل : الضمير إلى الأنبياء [٣]

ففعل الشَّرط القول بالإلهية من دونه سُبحانه ، والجزاء جهنَّم والعياذ بالله ، وهو في الخلائق وإبليس شرط ليس على سبيل الفرض والتمثيل ؛ لأنَّ ادِّعاء الإلهية مِن الخلائق وإبليس حاصل ، أمَّا في الملائكة فالادِّعاء مُحال ، وقد جاء الشَّرط " على سبيل الفرض والتمثيل في الملائكة من إحاطة علمه بأنَّه لا يكون ، وما ذاك إلا لقصد تفظيع أمر الشِّرك ، وتعظيم شأن التوحيد " [٤]

نعم .. إنَّ اعتبار الفرض والتقدير في تلك الأساليب التي تُوظَّف لذلك يجب أن يُعتبر فيها حَال المَعنيّ بالخِطاب ، فقد يكون الكلام على الأصل باعتبار مَخاطَب ، وعلى طريقة الفَرْض والتقدير باعتبار مُخاطب آخَر .

هذا ، ويُمكن أن تكون دلالة أُسلوب الفرض والتقدير في الآية الكريمة التعريض والتهديد بغير المعنيّ بالخطاب ، يقول الطَّاهر بن عاشور ــ رحِمه الله ــ : " الشَّرط الذي في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾

(١) ينظر : تفسير البيضاوي ٤ / ٩٠ ــ ط : دار الفكر ــ بيروت .
(٢) ينظر : مختصر تفسير البغوي لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد ٥ / ١٧٦ ــ ط : دار السلام ــ الرياض ــ ط : أولى ــ ١٤١٦ هـ .
(٣) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للهرري ١٨ / ٤٤ ــ ط : دار طوق النجاة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : أولى ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١ م .
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي ــ ١٢ / ٤١٠ ــ ط : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ــ د ت .

الآية . شرط على سبيل الفرض ، أي لو قاله واحد منهم مع العلم بأنَّهم لا يقولونه لأجل ما تقرَّر من شدَّة خشيتهم ، فالمقصود من هذا الشَّرط التعريض بالذين ادَّعوا لهم الإلهية بأنَّهم ادَّعوا لهم ما لا يرضَونه ، ولا يقولونه ، وأنَّهم ادّعوا ما يوجب لقائله نار جَهنم " [١] وفي هذا من بالغ التحذير والتخويف من مَغبة ادعاء الإلهية لعامة المخلوقين طرا ؛ لأنَّ هذا الوعيد إن لحق بأهل القرب كالملائكة فلغيرهم أشد وأنكى .

وقد آذر القول بدلالة أسلوب الفرض والتقدير معنى التهديد تذييل الآية الكريمة :﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، فالتذييل " مصدر تشبيهي مُؤكّد لمضمون ما قبله ، أي : مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الظالمين ، الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ، ويتعدُّون أطوارهم بالإشراك وادِّعاء الإلهية ، والقصر المُستفاد مِن التقديم مُعتبر بالنسبة إلى النُّقصان دون الزيادة ، أي لا جزاء أنقص منه " [٢]

فالتشبيه والقصر في تذييل الآية الكريمة أبرزا التَّهديد والوعيد في صورة أبلغ تتناسب مع ما تحكيه الآية الكريمة مِن الحديث عن عاقبة الإشراك وادعاء الإلهية .

ونجمل القول هنا : بأنَّ (مَنْ) كأختيها (إنْ) و (لو) الشرطيتين تخرج عن معنى الشرط إلى الفرض والتقدير لتؤدي دلالات بلاغية يقتضيها المقام ويستدعيها كالتنفير ، والتقبيح ، وتفظيع الشأن ، والتهديد ، والتعريض ، وغير ذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(١) التحرير والتنوير ١٧ / ٥٢ .

(٢) حدائق الروح والريحان للهرري ١٨ / ٤٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني : طريق الاستفهام

مِن المَعْلوم الثَّابت أنَّ إفادة الاستفهام لمعنى الفرْض والتمثيل قد أصَّل له الإمام عبد القاهر الجُرجَانيّ ــ رَحِمه الله ــ في كتابه دلائل الإعجاز ، وذلك حين عرض للاستفهام في قوله ــ جلَّ شأنه ــ : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) حيث قال ــ رحمه الله ــ : " وإذ قد عرفتَ ذلك فإنَّه لا يقرر بالمُحال وبما لا يقولُ أحدٌ إنه يكونُ إلاّ على سبيلِ التمثيل ، وعلى أن يقالَ له إنَّك في دعواك ما ادَّعيتَ بمنزلةِ مَن يدَّعي هذا المُحال وإنك في طَمَعِك في الذي طَمِعْتَ فيه بمنزلةِ مَن يطمعُ في الممتنع .

وإذ قد عَرَفْتَ هذا ، فَمِمَّا هو من هذا الضَرب قولُه تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ ليس إسماعُ الصمِّ مما يدَّعيه أحدٌ ، فيكون ذلك للإنكار ، وإنَّما المعنى فيه التَّمثيلُ والتّشبيهُ ، وأن ينزَّلَ الذي يُظَنُّ بهم أنهم يَسْمعون ، أو أنَّه يستطيعُ إسماعَهم منزلةَ مَن يَرى أنه يُسْمِعُ الصُّمَّ ويَهدي العُمْيَ ، ثمَّ المعنى في تقديمِ الاسمِ وأنْ لم يُقلْ أتُسمِعُ الصمَّ هو أن يقالَ للنبيِّ أأنتَ خُصوصاً قد أوتيتَ أنْ تُسمعَ الصُّمَّ ، وأن يُجْعَلَ في ظَنّه أنَّه يستطيعُ إسماعَهم بمثابةِ مَن يظنُّ أنَّه قد أُوتيَ قدرةً على إسماعِ الصُّمِّ " (٢)

فمعنى الفرض والتقدير يُشتمّ في ثنايا أساليب الاستفهام الإنكاريّ ، إذ كأنَّ النَّظم الكريم هنا يُنكر على المخاطَب وهو رسولنا الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما يعتقده ، وهو إسماع الصُّمّ وهداية العُمْي ؛ ولأنَّ الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يعتقد ذلك ، ومِن المُحال اعتقاده ، فيكون الكلام مُنزلا على طريقة الفرض والتقدير ، وفي الظَّنّ أنَّ الفرض والتقدير ومعنى الإنكار متلازمان ، لا ينفكّ أحدهما عن الآخر .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٤٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٥ .

فالفَرْض والتقدير في هذا الباب أساسه إيراد المَعنى كأنَّه حاصِل مَوجود على طريقة التمثيل ، ثُمَّ نفيه بالاستفهام وإنكاره ، وفي النَّفي بالاستفهام الإنكاري خاصَّة مزية يقصدها البليغ وهي الإشعار بثقة المتكلم واطمئنانه ، وأنه لا يخشى تكذيبًا ولا مخالفة ؛ لإيهامه أن السامع أعلم منه بحقيقة الأمر ، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظاهر ، أما إذا أتيت بالنفى الصريح فقلت : أنت لم تقل هذا الشعر ، لمن ينتحل شعرًا فقد فدت غرضك من أول وهلة ، ولم توح للمخاطب أن يراجع نفسه ليخجل ويرتدع ويعلم أنه مخطئ ، ولم يشعر الأسلوب بثقتك واطمئنانك إلى عدم التكذيب (١)

هذا ، وقد جعل الإمام عبد القاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ من لطيفِ هذا الباب قولُ ابنِ أبي عُيينَةَ :

فَدَعِ الوَعيدَ فَما وَعيدُكَ ضائري ... أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضيرُ (٢)

وقال : " جعلَهُ كأنَّه قد ظَنَّ أنَّ طنينَ أجنحةِ الذبابِ بمثابةِ ما يضيرُ ، حتَّى ظنَّ أن وعيدَه يضيرُ" (٣) فالأمر المُنكَر أمر مُفترَض لا وُجود له أصلا .

---

(١) ينظر : دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير ــ د : عبد الهادي العدل ص ٢٦٥ ــ ضبطها وعلق عليها عبد السلام أبو النجا سرحان ــ ط : دار الفكر الحديث للطبع والنشر ــ القاهرة .

(٢) البيت من الكامل ، الطنين : ضرب من الأصوات كصوت الناقوس والعود ، ويقال قصيدة أو خطبة أو مقالة لها طنين صدى وذكر وجلجلة في المحافل وغيرها . ينظر : المعجم الوسيط ــ تأليف : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ــ تح : مجمع اللغة العربية ــ مادة (ط ن ن) ــ ط : دار الدعوة ــ د ت .

(٣) دلائل الإعجاز ص ١٠٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولذلك فإنَّ " الشاهد في هذا البيت أنَّ إنكار الأمر المستحيل الوقوع بالهمزة ، إنَّما يأتي على سَبيل التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطَب الذي يطلب الأمر المُستحيل بمنزلة مَن يستطيعه " (١)

هذا فالكلام في البيت ليس على ظاهره ؛ إذ لا يدعي أحد أن طنين الذباب يضير ؛ لأنَّ وقوع الضرر منه مستحيل ، فهو إذا على التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب في دعواه أنَّ وعيده الذي لا يؤبه له يضير منزلة مَن يدعي أنَّ طنين أجنحة الذباب يضير ، ووجه الشبه أنَّ كُلا قد ادَّعى دعوى كاذبة (٢) وفي هذا من الاستهانة والاستخفاف بالوعيد ما لا يَخفى ، ولعلَّ قوله : (أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضيرُ) من باب رد دعوى الشيء ببينة ، فأُسلوب الفرض والتمثيل ــ كما رأيت ــ أحد طُرق الحِجاج التي توظَّف في الكلام البليغ لإقناع المخاطب بدحض ما يعتقده ويؤمن به .

هذا ، وقد وظَّف النَّظم الكريم بخاصَّة والحديث والشعر بصفة عامَّة الاستفهام أتمّ توظيف لسوق الكلام على سبيل الفرض والتقدير لما يحمله الاستفهام من طاقة هائلة على الإثارة والتنبيه ، فهو أحد مباحث الإنشاء الطلبي التي يستدعيها صاحب البيان البليغ حين تشتد حدَّة الانفعال ؛ إذ يُراد منه تحريك انتباه السَّامع ، وهزّ مشاعره ؛ ذلك لأنَّه " أوفر أساليب الكلام معاني ، وأوسعها تصرُّفا ، وأكثرها في مواقف الانفعال ورودا ؛ ولذا ترى أساليبه تتوالى في مواطن التأثُّر ، وحيث يراد التأثير وهيج الشُّعور

---

(١) ينظر : الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ــ توثيق وتحليل ونقد ــ رسالة دكتوراه ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة أم القرى ــ للباحثة : نجاح أحمد عبد الكريم الظهار ــ ص ٣٢٨ ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م .

(٢) ينظر : دراسات تفصيلية شاملة ص ٢٦٨ .

للاستمالة والإقناع " [١] فالاستفهام من بين مباحث الإنشاء الطلبي يصدق عليه قولهم : إن كان للكلام قمة عُليا في البلاغة كان أُسلوب الاستفهام محتلا أعلى مكان في تلك القمة [٢]

فمن نافلة القول هنا : إنَّ الاستفهام أحدُ الأدوات البيانيَّة المهمة التي وُظِّفت في كلام أهل الطبع ، وكلام ربّ العالمين سُبحانه لإفادة معنى الفرض والتقدير ؛ ذلك لأنَّ الاستفهام بما يشتمل عليه من معان ثرَّة يتَّسق مع المعاني والدلالات البلاغية التي يتضمنها أسلوب الفرض والتقدير أيَّما اتساق، والله تعالى أعلم .

(١) فن البلاغة ــ د عبد القادر حسين ص ١٤٦ ــ ط : دار عالم الكتب ــ ط : ثانية ــ بيروت ــ ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م .

(٢) فن البلاغة ص ١٤٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الأول :

الفرض والتقدير في سياق الاستفهام الإنكاري بالهمزة .

تخرج همزة الاستفهام عن معناها الأصلي لتؤدِّي معنى الفرض والتقدير كأدوات الشرط ، إذ إنَّ همزة الاستفهام تقوم أحيانا مقام (إن الشرطية) ، يقول الرضي ــ رحمه الله ــ : " وإنما أفادت الهمزة فائدة (إن) الشرطية ؛ لأنَّ (إن) تستعمل في الأمر المفروض وقوعه ، المجهول في الأغلب ، فلا يقال : إن غربت الشمس ، وكذا حرف الاستفهام ، يستعمل فيما لم يتيقن حصوله، فجاز قيامها مقامها ، فجردت عن معنى الاستفهام"(١)

ومِن دلالات أُسلوب الفرض والتقدير البلاغيَّة التي اشتمَّت منه ومن الإنكار عن طريق الاستفهام الإنكاري التعجّبي إفادة معاني التعنيف والتبكيت والتقريع والزَّجر ، ومنه ما جاء في قوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (٢). فالفرض والتقدير بُني عليه الاستفهام الإنكاري لتتولد تلك الدلالات .

يجد المُتأمِّل أنَّ أُسلوب الفرض والتقدير هنا وظَّفه النَّظم الكريم أبلغ توظيف في إبطال كلام العاص بن وائل ــ عليه لعنة الله ــ رغم صدور كلامه على طريقة الاستهزاء ، وهذا " لأنَّ شأن التصدّي للإرشاد أن لا يغادر مغمزاً لرواج الباطل إلا سدّه " (٣) حتَّى يتحقَّق التَّسليم التامّ بإبطال كلّ ما يداخل النَّفس مِن اعتقادات باطلة .

---

(١) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ــ تح : يحيى بشير مصري ٢ / ١٣٤٥ ــ ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ ط : أولى ــ ١٩٩٦ م .

(٢) سورة مريم : ٧٧ ــ ٨٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٥ / ٣٥٢ .

وجَرْس كلمة (أطلع) يَحكي صُعُوبة الوُصول لمعرفة ما سيحدث في اليوم الآخر الذي انتهى علمه إلى ربنا سبحانه وتعالى وحده .

ثمَّ إنَّ تسمية ما سيحدث في اليوم الآخر (الغيب) يتساوق مع لفظة (أطلع) ، فالغيب : " مصدر غابت الشمس وغيرها : إذا استترت عن العين .. واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان " (١) فمحاولات الوصول إلى الغيب عاقبتها الفشل لأنَّ صاحبها يطلب شيئا مستورا بعيدا عن حواسه ، فكيف يصل إليه ؟

فالنَّظم الكريم هنا أنكر على المُخاطب قوله : ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ بالاستفهام الإنكاري الإبطالي على سبيل الفرض والتقدير : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ وتراه هنا لم يؤثر النفي المحض ؛ لأنَّ للنفي الوارد في ثوب الإنكار فائدة بلاغية مهمَّة وهي إعمال عقل المخاطب وإثارة حسه وتحريك شعوره وتنبيهه لما هو غافل وإيقاظه لما هو مِن شأنه ألا يغفل عنه ، حتَّى كأنَّه يصل إلى الصَّواب بنفسه ، فالنَّفي عن طريق الاستفهام الإنكاري أقلّ حدَّة مع المخاطب ، وإن كان مِن النَّفي الصريح أبلغ ، إذ فيه أيضًا : " إشراك السَّامع في التفكير في الحقائق المعروضة فهو لا يفرض عليه الحكم فرضا ؛ لأن طريقة الفرض فيها ثقل على النفس ، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه ويعرف حقيقته فيرتدع كأنْ يدَّعي القدرة على فعل ما لا يقدر عليه ، أو أن يهمّ بفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا روجع تنبَّه وعرف الخطأ " (٢)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦١٦ ــ مادة (غ ي ب) .

(٢) الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز ص ٣٢٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قال الإمام عبد القاهر : " واعلمْ أنَّا وإنّ كُنَّا نفسر الاستفهامَ في مثلِ هذا بالإنكارِ فإنَّ الذي هو مَحضُ المعنى أنَّه لتنبيهِ السامع حتى يرجعَ إلى نفسِه فيخجلَ ويرتدعَ ويَعْيا بالجواب " (١)

هذا ، وقد اختير هنا من أسمائه سبحانه وتعالى (الرحمن) ؛ لأنَّ استحضار مدلوله أجدر في وفائه بما عهد به من النِّعمة المزعومة لهذا الكافر (٢) فاسم الرحمن كما ترى جاء موائما لحال المخاطب الطامع في الإنعام المزعوم ، فـ " الرَّحمة رقَّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تُستعمل تارة في الرِّقة المُجردة ، وتارة في الإحسان المُجرَّد عن الرِّقة ، نحو : رحم الله فلانًا ، وإذا وُصف به الباري فليس يُراد به إلا الإحسان المُجرَّد دون الرِّقة " (٣)

وقد صوَّر بناء جُملة ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ غُرُور العاصي بن وائل ، حيث جاء قوله السابق والذي حكاه القرآن في ثوب القسَم المُؤكَّد .

فالآية الكريمة " في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة ؛ فإن الذي يزعم أنَّه حاصل له خير عند الله في الآخرة ، لا يخلو : إمَّا أن يكون قوله صادرا عن علم بالغيوب المستقبلة ، وقد علم أن هذا لله وحده ، فلا أحد يعلم شيئا من المستقبلات الغيبية ، إلا مَن أطلعه الله عليه من رسله .

وإمَّا أن يكون متخذا عهدا عند الله بالإيمان به واتباع رسله الذين عهد الله لأهله وأوزع أنهم أهل الآخرة ، والناجون الفائزون ، فإذا انتفى هذان الأمران علم بذلك بطلان الدعوى ، ولهذا قال تعالى : (كَلا) أي : ليس

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٠٦ .
(٢) التحرير والتنوير ١٦ / ١٦١ .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٣٤٧ ــ مادة (ر ح م) .

الأمر كما زعم ، فليس للقائل اطلاع على الغيب ، لأنه كافر ليس عنده من علم الرسائل شيء ، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا لكفره وعدم إيمانه ولكنه يستحق ضد ما تقوله ، وأن قوله مكتوب محفوظ ليجازى عليه ويعاقب ، ولهذا قال : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ أي : نزيده من أنواع العقوبات ، كما ازداد من الغيّ والضَّلال " [١] .

هذا ، والآيات الكريمة : ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ تحكي تدرُّج النَّفي كما ترى ، حيث جاء النَّفي أولا في ثوب الفرض والتقدير عن طريق الاستفهام الإنكاري الإبطالي ، وتلاه النفي الصَّريح ثانيا في قوله سبحانه : ﴿كَلَّا ﴾ ، وهي تتضمَّن شُحنة هائلة مِن النَّفي الحادّ ، وكأنَّها قذيفة مدوية ، ففي مفردات الرَّاغب : " كلا : ردع ، وزجر ، وإبطال لقول القائل ، وذلك نقيض (إي) في الإثبات " [٢] ، ثمَّ الوعيد والتهديد الشديدين ثالثا في قوله سُبحانه : ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ فالسِّين في صدر الوعيد ، وتوكيد الفعل (نمدّ) بمصدره (مَدا) فيهما دلالة على تحقُّقه ، وإن تأخَّر كما هو مَعلوم .

******

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ تح : ابن عثيمين ــ ص ٥٠٠ ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .

(٢) مفردات الراغب ص ٧٢٥ ــ مادة (كلا) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومِن دَلَالات أُسْلُوب الفَرْض والتقدير البلاغيَّة أيضًا : إفادة معنى التوبيخ ، ومنه ما جاء في قوله تعالى :﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (١) .

فقوله تعالى : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ جوَّز الطَّاهر ابن عاشور حملَ الاستفهام الإنكاري على معنى الفرض والتمثيل (٢) وأنَّ الأصل الذي كان ينبغي أن يكون هو غيبة هذا الجدال القبيح الذي يحمل في ذاته معنى المُغالبة لشيء كائن لا محالة ، ووجوب التسليم والإذعان لإخباره صلى الله عليه وسلم لكفار قريش برؤية ربه سبحانه وتعالى أو جبريل عليه السلام ، وتجد النَّظم الكريم قد وظَّف مفرداته لمؤازرة هذا الفهم ، فالتعبير بلفظ المراء دون الجدال في قوله تعالى : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ فيه دقَّة عناها النَّظم الكريم ، حيث إنَّ المراء هو " مُخاصمة في الحقّ بعد ظهُوره ، كمرى الضَّرع بعد دروره ، وليس كذلك الجِدال " (٣) .

هذا ، وفي التعبير عن الماضي بالمضارع إشارة إلى استحضار هذا الشيء ، وأنَّه ــ عليه الصَّلاة والسَّلام ــ حين أخبر به كأنَّما يراه الآن ؛ لأنَّ الإنسان إذا حدَّث عن ماضٍ فربما يقول قائل : لعله نسي فأخطأ ، ولكن إذا عبَّر بالمضارع صار كأنَّه يتحدَّث عن شيء ، هو يشاهده (٤) .

---

(١) سورة النجم : الآيات من ٨ ــ ١٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٩٩ .

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ــ تح : علي محمد البجاوي ــ و / محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٢٣٢ ــ ط : دار المعرفة ــ لبنان ــ ط : الثانية ــ من دون تاريخ .

(٤) تفسير القرآن الكريم (من الحجرات إلى الحديد) للشيخ : محمد بن صالح العثيمين ص ٢١٠ ــ ط : دار الثريا للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ ط : أولى ــ ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م .

ولتعدية الفعل هنا بـــ (على) دون (في) فائدة جليلة عناها الـــنَّظم الكريم ، وهي الإشارة " إلى أنَّ الفعل ضمّن معنى المغالبة ، أي : أفتجادلونه تريدون أن تغلبوه على ما يرى " (١)

فدقة لفظ المراء ، وصيغة المضارع وما فيها من معنـــى استحضـــار الحدث وشخوصه في مرأى العين ، وتعدية الفعل هنا بـــ (على) دون (في) أدوات بيانية ضمَّها جميعا أُسلوب الفرض والتقدير لتتعاون جميعا على إفادة التبكيت أحد دلالات هذا الأسلوب الذي من لوازمه في هذا السِّياق إقرار كفار قريش وإذعانهم لأقوال الصَّادق المصدوق عليه من ربه السَّلام .

فأسلوب الفرض والتقدير : ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ـــ كما رأيـــت ـــ قائم في معنى الجدال الذي يضمن معنى المُغالبة ، لا في مُطلق الجدال ، لأنَّ مُطلق الجِدال قد حُكي عن الكفار معه صلى الله عليه وسلم في غير حـــال ، والله تعالى أعلم .

****

(١) المرجع السابق ص ٢٠٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومِن دلالات أُسلوب الفرض والتقدير البلاغيَّة عن طريق الاستفهام الإنكاري التعجُّبي إفادة معنى التَّهكُّم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (١) .

الآية الكريمة هُنا تحكي طرفًا من الصَّوارف الافتراضية التخييلية التي يُمكن أن تكون مانعا لكفَّار قُريش مِن قبول دعوة الرَّسول عليه السَّلام ، وهو سُؤاله عليه السَّلام لبعض أموالهم في مقابل تبليغه ما أُوحي إليه .

فالفرض والتقدير هنا جاء في ثوب الاستفهام ، ومعناه النفي ، والغرض منه التهكُّم ، إذ المعنى : " أي : ما تسألهم خرجاً فيعتذروا بالإعراض عنك لأجله شحاً بأموالهم ، وهذا في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٢) على سبيل الفرض والتقدير : إنْ كُنتُ سألتكم أجراً فقد رددته عليكم ، فماذا يمنعكم من اتباعي ؟ " (٣)

فأسلوب الفرض والتقدير هنا يشي بأنَّ سُؤال الرَّسول لمال المُرسل إليهم في أي زمان ومكان لا يكون ألبتة ، وأنَّه أمر مُنكر لم يُعرف أبدا ، ولم تعرفه الرِّسالة بحال مِن الأحوال ، ولعلَّ ذلك هو السَّبب في مجيء الاستفهام الإنكاري في ذلك الثوب الافتراضي التخييلي ، مع ما في أُسلُوب الفرض والتقدير مِن تصوير عنت القوم غير المُبرَّر ، وغفلتهم ، وسذاجة عقُولهم ، وفيه أيضًا المُبالغة في نزاهته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعدم طمعه فيهم.

ومن لطيف التعبير القرآني هنا إيثار لفظة : (خَرْجًا) التي تشي بأنَّ المسؤول من العطاء قليل ؛ لأنه عطاء دنيوي زائل ، وهذا أدعى لأنْ يتنزَّه

---

(١) سورة المؤمنون : ٧٢ .
(٢) سورة سبأ : ٤٧ .
(٣) التحرير والتنوير ١٨ / ٩٦

عن طلبه الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم . قال الزمخشري : " أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق ، والكثير من عطاء الخالق خير " (١)

وسئل بعضهم : الخراج ما لزمك ووجب عليك أداؤه ، والخرج ما تبرعت به من غير وجوب (٢) ففي تلك الدلالة إشارة إلى أنَّ ما سيأخذه المُبلِّغ دَينًا يلزمه الوفاء به مُستقبلا ، وهذا يعني أنَّه لم يأخذ شيئا .

وقيل : الخرج المال يخرج مرَّة ، والخراج المجبى المتكرِّر (٣) وفي هذه الدلالة إشارة إلى نقصان المُعطَى بعدم تكراره مستقبلا ، فدلالات الكلمة جميعها تآزرت على أمر وحيد هو تصوير نقصان العطاء وعدم تمامه ، ولاسيما إذا قورن بالعطاء الرباني .

هذا ، وتخفيف حدة الإنكار التي جاءت في ثوب الفرض والتقدير جاءت موائمة لمقام المخاطب عليه السَّلام .

ومِن هذا الباب أيضًا قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ (٤) والأمثلة في هذا الباب كثيرة يضيق حصرها في كل لون من ألوان البيان العربي .

****

هذا ، وقد يوضع الاستفهام الإنكاري التكذيبي في قالب الفَرْض والتقدير ادِّعاء ، ومنه في ظنِّي قول امرئ القيس المَشهور :

---

(١) الكشاف ٣ / ١٩٩

(٢) ينظر : نظم الدرر للبقاعي ــ ١٣ / ١٦٩

(٣) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ١٥٥ .

(٤) سورة القلم : آية ٤٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَيَقْتُلُنِـــي والمَشْـــرَفِيُّ مُضَـــاجِعِي ∴ ومَسْـنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيـابِ أَغْـوَالِ ؟ (١)

ففي رأيي أنَّ حُصُول القتل بوجه عام قريب ممكن ، ولاسيَّما للمُتوعد المُتربِص الثائر لشرفه وعرضه ، وإذا لم يثأر مَن تدنَّس عرضه وشَـرفه ، وتدنيس العرض للقتل قسيم ، فمَنْ يثأر ؟ لكنَّ إنكار الشَّاعر لـه ووضـعه للمعنى في صُورة المُحال الذي لا يكون حالا أو مستقبلا إيحاء بالخَوَر وفرط العَجْز وانعدام القُدرة ، ومِن ثَمَّ تعلو بفضل الفرض والتقدير حدّة الإنكار إلى غير حدّ ، وهذا هو المراد ، وهو يتناسب كما ترى مَع حال زهـو الشَّـاعر وإحساسه البالغ بنفسه ، وكيف لا وهو الأمير الذي تُسْتباح لمثله أعـراض السُّوقة ؟ ، ثمَّ إنَّه يتناغى أحسَن ما يكون مع حَـال المُتوعِّـد (بالكسـر) فامرؤ القيس سَلِيل المُلك والجاه والمنَعة والسُّـلطان لا يـراه ، ولا يَسـمع طَنينه ؛ لأنَّه في نظره صُعلوك حقير ، ليس لمثله عِرض وشَرَف ، وامرأته كجواريه ، يحلّ له مِنها ما يشاء ، وإنْ كره الكارهون .

هذا ، وقد حَضَّ قول الشَّاعر : (وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوَالِ) على جَعل الاستفهام خارجا مُخْرج الفرْض والتقـدير ؛ لأنَّ في القول أمَارة واضحة على بُطلان الوعيد وأنَّ القتل لن يكون بحال ، فعند الشَّاعر من آلات القتال ما يَدفع به عن نفسِه مُطلق الأذى ، أمَّا سيفه فإنَّه لا يفارقه ، وفي نِسبته إلى مَوطِن صنعه ما يُنبئ عن حُسْن الصِّـناعة وفـرْط

---

(١) ينظر : ديوان امرئ القيس ــ شرح : عبد الرحمن المصطاوي ص ١٣٧ ــ ط : دار المعرفـة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : ثانية ــ ١٤٢٥ ه ــ ٢٠٠٤ م .

ــ المَشَارف جمع مُشْرَف قرى قرب حَوران منها بُصْرى من الشام ثم من أعمال دمشق إليها تنسـب السيوف المشرفية .. قال الأصمعي السيوف المشرفية منسوبة إلى مشارف وهي قرى مـن أرض العرب تدنو من الريف وحكى الواحدي هي قرى باليمن . ينظر : مُعجم البُلدان لياقوت الحموي ٥ / ١٣١ ــ ط : دار صادر ــ بيروت ــ ١٣٩٧ ه ــ ١٩٧٧ م .

جودتها وهذا يشي بالمنعة ، وأمَّا نصل رُمحه فأزرق ، وفي " وصف النّصال بالزرقة دلالة على صفائها وكونها مَجْلُوة " [١] وهذا يُنبئ عن كونها مُرهفة رقيقة ، وذلك يلزم عنه فرط الحدَّة .

كما أنَّه شبيه بأنياب الأغوال ، ففي التَّشبيه مِن مُواءمة السِّياق ما لا يَخفى ، إذ إنَّ استطراد الشَّاعر إلى الصُّورة التشبيهية ــ وهي مُنْكرة ــ أشاع ــ كما ترى ــ لونًا مِن التخويف والتَّهويل .

هذا ، وقد أعان السِّياق القبلي والبعدي أسلوب الاستفهام على تضمينه معنى الفَرْض والتقدير وعدم خلوص الاستفهام للإنكار فحَسْب ، بل كان ــ كما يتراءى لي ــ يحضّ على ذلك ، ويدفع دَفْعا ، ومن ذلك قول امرئ القيس قبل موضع الشاهد مباشرة وهو يبين خور الرجل وجبنه ، وما تبعه من تقبيح ، ورمي بأخسّ الأوصاف وأقبحها :

يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي والمَرْءُ لَيسَ بِقَتَّالِ

وقوله عقب موضع الشَّاهد :

ولَيسَ بِذِي سيف فيطعنني بِهِ ... ولَيسَ بِذِي رُمحٍ ولَيسَ بنبَّالِ

أيَقتلني وَقَدْ قطرْتُ فؤادها ... كما قَطرَ المَهْنوَّةَ الرَّجلُ الطالي

وقَدْ علمَتْ سلمَى وَإن كان بعلها ... بأنَّ الفتى يهذي وليس بفَعَّالِ

فالناظر يجده قد رماه بوصف الغطيط عن طريق الصُّورة التشبيهيَّة التي وضعت في قالب المَصدر على طريقة التشبيه المؤكَّد : (يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ) ، وغرضه مِن التشبيه تشويه صُورة المشبه وتقبيحه ، وقد أحسَن ، كما ترى .

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي ــ تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢ / ٩ ــ ط : عالم الكتب ــ بيروت ــ ١٣٦٧ ه ــ ١٩٤٧ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثمَّ يأتي الإخبار بنفي إمكان مباشرة القتل عنه في قولـــه : (والمَـــرْءُ ليسَ بقَتَّالِ) ، وتجريده مِن امتلاك أدوات الحرب وآلاتها : (سيف ، رمح ، نبل) ، مع ما في استيفاء الآلات التي لَيست له ، والتـــي تلـــزم الفـــارس المُقاتِل على طريقة حُسْن التقسيم ، مِن تقوية المَعنى الذي هو بصدده ، ما لا يخفى :

ولـــيسَ بِـــذِي ســـيف فيقـــتلني بـــهِ ولـــيسَ بِـــذِي رُمحٍ ولـــيسَ بنبَّـــالِ

وهذا الوصف يلزم عنه وصفا آخر هو الجهل التامّ بالمقاتلة وفنونها ، ففي التعبير كناية عن صفة ، كما يبدو ، ثمَّ إنَّ إنكار القتل أولا في قوله :

أيَقـــتلني وَقـــدْ قطـــرْتُ فؤادهـــا كما قَطرَ المَهْنوَّةَ الرَّجلُ الطالي

مُعلَّل ببلوغ الشَّاعر الماجن الغاية مِن قلب المرأة ، فهو " يريد أنَّه بلغ شغاف قلبها ، كما يبلغ القطران شغاف الناقة المهنـــوءَة ، وهـــي المطليـــة بالقطران ، وهي تستلذه حتَّى يكاد يغشى عليهـــا " [(١)] فصـــورة التشـــبيه المركَّب التي أبدع فيها الشَّاعر هنا تُبرز يأس الرَّجل وبالغ فتوره وانهزامه النفسي ؛ لأنَّه يفتقد هنا مَن يحرِّكه للثأر لشرفه ، وهي الـــزَّوج الخائنـــة ، فمثلها تفت في عضده ، ولا تستثير فيه نخوة الرِّجال .

ثُم إنَّ إخباره بعلم سلمى بالهذيان ، وهي زوج الرجل وأخبـــرُ النَّـــاس بحاله وطباعه مِن التأكيد على جبن الرَّجُل وضعفه الشَّديد ما لا يخفى ، تأمَّل قوله :

وقـــدْ علمَـــتْ ســـلمَى وَإن كـــان بعلـــها بـــأنَّ الفتـــى يهـــذي ولـــيس بفَعَّـــالِ

---

(١) ينظر : ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري ــ تح : د / أنور عليان أبو سويلم ، ود / محمد علي الشوابكة ١ / ٣٣٥ ــ هامش رقم ٥ ــ ط : مركز زايد للتراث والتاريخ ــ العين ــ الإمارات ــ ط : أولى ــ ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠ م .

تدرك ذلك ، وممَّا يحسب للشَّاعر هنا وضع المعنى الذي يقصده في ثوب التأكيد بأكثر من مؤكِّد ، كما أنَّ حذف جواب الشَّرط يبرز بوضوح أنَّ توعد امرئ القيس بالقتل مِن باب الهذيان ، وأنَّه أمر مُقرَّر في ذهن زوجه ، حاضر ببالها ، تعرفه فيه ، ولا تخطئه .

هذا ، من المعلوم المُقرَّر عندنا أنَّ النفي في الاستفهام التكذيبي أبلغ مِن صَريح النفي ، وفي الظنّ أن النَّفي الذي يظهر فيه بوضوح معنى الفرض والتقدير أبلغ من صريح النَّفي ومن الإنكار التكذيبي الذي يخفت فيه معنى الفرض والتقدير ، والله أعلم .

يقول الإمام عبد القاهر ــ رحمه الله وألحقه بسيد النبيين ــ : " .. وقد يتوهَّم المُتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل ، فإذا نظر لم يحتمل ، فمن ذلك قوله : ...

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي .....

وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنَّه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي ، ويتعلق بأنه قال قبل :

يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي والمَرْءُ لَيسَ بِقَتَّالِ

ولكنه إذا نظر علم أنه لا يجوز ، وذاك لأنه قال : والمشرفي مضاجعي، فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، ومحال أن يقول هو ممن لا يجيء منه الفعل ثم يقول : إني أمنعه ؛ لأن المنع يتصور فيمن يجيء منه الفعل ، ومع من يصح منه ، لا من هو منه محال ، ومن هو نفسه عنه عاجز، فاعرفه "[1]

(١) دلائل الإعجاز ص ١٠٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويستطرد الشيخ عقب هذا قائلا : " واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه لتنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ، ويعيا بالجواب ، إمَّا لأنَّه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل : فافعل ، فيفضحه ذلك ، وإمَّا لأنَّه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإما لأنَّه جوز وجود أمر لا يوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويزه وبخ على تعنته ، وقيل له : فأرناه في موضع ، وفي حال ، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت ، ولو كان يكون للإنكار ، وكان المعنى فيه من بدء الأمر لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل : إنَّه يكون حتى ينكر عليه ، كقولهم : أتصعد إلى السماء ؟ أتستطيع أن تنقل الجبال ؟ أإلى رد ما مضى سبيل ؟ وإذ قد عرفت ذلك ، فإنَّه لا يقرر بالمحال ، وبما لا يقول أحد : إنه يكون إلا على سبيل التمثيل ، وعلى أن يقال له إنك في دعواك ما ادعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال ، وإنك في طمعك في الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع " (١)

هذا ، وكلّ شواهد الإنكار التكذيبي يتلمَّس في ثناياها عند إنعام النظر معنى الفرض والتقدير ، وهذه الدِّراسة قد أبرزت شيئا مِن ذلك في تلك الشواهد التي عرضت لها ، لكن بعض الشَّواهد يظهر فيها معنى الفرض والتقدير بوضوح ، وبعضها يخفت شيئا ، والله تعالى أعلم .

****

(١) دلائل الإعجاز ص ١٠٥ .

وخاتمة القول في هذا الباب : أنَّ لأُسلُوب الفرض والتقدير خصائص أُسلوبية ، منها : الإيجاز والتركيز ، وانسجامه مع معاني الاستفهام كالإنكار والنَّفي أحسن انسجام ، واختياره فيما هو مستحيل الوقوع والإمكان كما مرّ من افتراض الإطلاع على الغيب ، وإمكان مغالبته صلى الله عليه وسلم ، وكذا سُؤاله عليه السَّلام لبعض أموال كفار قريش في مقابل تبليغه ما أُوحي إليه .

ومن خصائصه الأسلوبية أيضًا : التأثير الشَّديد في المخاطب ، وهو مقصد مهم يقصده البليغ ، فتراه يؤثر في مواطن إعمال عقل المخاطب ، وإثارة حسّه ، وتحريك شعوره ، وتنبيهه لما هو غافل ، وإيقاظه لما هو مِن شأنه ألا يغفل عنه ، وله دلالات أشهرها ــ حين تتأمل شواهده في فصيح الكلام ــ التبكيت والتوبيخ والتهكم ، وغيرها . والله تعالى أعلى وأعلم .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة البحث

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ،علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه شُمُوس الظَّلام ، والتـــابعين لهم بإحسان ، واشملنا برحمتك معهم يا رحمن ، يا رحيم .

أمَّا بعد :

فقد خلُصَت الدِّراسة في موضوع : (أســلوب الفــرض والتقــدير ــ طرائقه ودلالاته البلاغية) إلى بعض النتائج ، أُجملها فيما يأتي :

أولا : أُسلُوب الفرض والتقدير بابٌ جليل مِــن أبــواب الفصَــاحة ، وصَفحةٌ مضيئة مِن صفَحَات الدَّرس البَلاغِي المُهمَّة التي يجــب ألا تُغفــل بحال ، وتنوُّع شواهده في مُختلف صور البيان الفصيح يعكس ذلك .

ثانيا : أُسلُوب الفرض والتقدير أحَد آليات الحِجَاج والإقناع المُهمَّــة ، وذلك لقدرته البالغة على إثارة الحس وهز مواطن الشــعور ، فــلا يَنبغــي لمُدارس هذا الباب أن يغفل أثره البالغ ، ولاسيما أنَّ النَّظم الكريم وظَّفه لذلك في غير مَوطن .

ثالثا : لِكلّ أسلوب مِن أساليب البيان الرَّفيعة قِيم بلاغيَّة يؤدِّيها ، وقدر الأساليب البلاغية عامَّة مرهون بمقدار ما تؤديه مِن قيم ، فمن أظهر القــيم البلاغية لأُسلوب الفرض والتقدير : المُبالغة والتحقيق والتوكيــد وتخييــل المُحال مُمكنًا ، وادِّعاء المَفروض في صُورة الأمر المُحقَّق ، وغيرها .

رابعا : كمَا أنَّ أُسلوب الفرض والتقدير مِن الأساليب التي تتجلى فيها الصُّورة التمثيليَّة ، ويظهر المَعنى معه فــي غايــة الوُضــوح والجــلاء ، والمُتأمِّل يجد النَّظم الكريم يُوظِّفه كثيرًا لتقريب المعني إلى الفهم ، لما لــه

من قدرة بيانية فائقة على إلقاء المعاني في نفوس المخاطبين بصورة واضحة .

خامسا : من محاسن أسلوب الفرض والتقدير التأثير الشديد في المخاطب وهو مقصد مهم يقصده البليغ ، فتراه كثيرا يؤثر في مواطن إعمال عقل المخاطب وإثارة حسه وتحريك شعوره وتنبيهه لما هو غافل وإيقاظه لما هو مِن شأنه ألا يغفل عنه .

سادسا : لأُسلُوب الفرض والتقدير خصائص أُسلوبية ، منها : الإيجاز والتركيز ، وانسجامه مع غيره مما يجاوره ، واختياره كثيرا فيما لا يقع كما مرّ من افتراض الإطلاع على الغيب ، وإمكان مغالبته صلى الله عليه وسلم ، وكذا سُؤاله عليه السَّلام لبعض أموال كفار قريش في مقابل تبليغه ما أُوحي إليه ، وشكّ النبيّ صلى الله عليه وسلم في أمر الوحي ، وإنزال القرآن على الجبل ، وغير ذلك .

سابعا : ظهر لي أنَّ للشرط خاصَّة قُدرةً عجيبة على إفادة الفَرْض والتقدير ، حتَّى إذا قال قائل : إنَّ الشَّرط هو الأقدر على إفادة هذا الغرض لم يُبْعِد ، ذلك أنَّ إفادته للفرض والتقدير مع كثير من أدواته كـ (إن ومن ولو) يشهد بذلك .

ثامنا : لأسلوب الفرض والتقدير في ثوبيه الاستفهام والشَّرط دلالات بلاغية يصعب عدّها ، يُكشَف عنها بمعونة السِّياق ، ومِن هذه الدلالات : التعنيف والتبكيت والتهكم والتمني ، والتعظيم ، والتحقير ، والتقليل ، والتكثير ، والتقريب ، والتبعيد ، والتنفير ، والتقبيح ، وتفظيع الشأن ، والتهديد ، وقد يرى المتأمِّل حمل أسلوب الفرض والتقدير على أكثر مِن دلالة بلاغية ، ولا تعارض في ذلك ، فالنكات البلاغيَّة لا تتزاحم .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تاسعا : أسلوب الفرض والتقدير قد يُفهم أحيانا ضِمنا ، أو تقديرا ، مِن دون أن تكون صُورته التي يجيء عليها صريحة وبارزة ، فالغالب عليه كما أبانت هذه الدِّراسة أن يكون في قالب الاستفهام والشَّرط ، فالدِّراسة لحظت وقوع الشرط مقدَّرا بجملتيه كما في قوله عزَّ شأنه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ . (سورة الأحزاب : آية ٧٧) . ، كما لَحَظت أيضًا وقوع أسلوب الفرض والتقدير في قالب الشرط ، وقد دلّ على الفرض والتقدير جملة الجواب لا جملة الشرط ، والله تعالى أعلم .

عاشرا : عدم خُلُوص أُسلوبيّ الشَّرط والاستفهام لمَعنى الشَّرط والاستفهام وإفادتهما للفرض والتقدير ، وغيره ، يبرز ثراء مثل هذه الأساليب ، وغزارة دلالاتها ، ولهذا فإنَّ الأجدر بالدَّرس البلاغيّ ، والأوقع ، ألا تدرس أساليبه ، وصوره ، وكذا المفردات ، وحروف المعاني ، وغيرها ، بعيدا عن فصيح البيان بحال ، فالبلاغة في نظوم البلغاء لا زالت ــ على كثرة ما درس ــ ترثي حالها ، والله يوفِّق مَن يشاء لما يشاء .

ويوصي أستاذنا الدكتور / محمود حسن مخلوف ، محكم البحث للنشر ، أن يتبع البحث ببحوث أخرى تتناول النظائر البلاغية في القرآن والشعر .

****

وبعد :

فإنَّ إماطة اللثام عن أسلوب الفرض والتقدير في البيان العالي قد باحت ببعض أسراره البلاغية ، وكشفت النقاب عن بعض محاسنه المطمورة، ومحاسنه كما بينت هذه الدِّراسة تملأ الطَّرف ، وقد عرض البحث لشيء يسير منها ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وهذا الباب لا يزال بِكْرا ، يحتاج إلى باحثين أَحَدّ بصَرا ، وأكثر صَبرا وتوفيقا ، والله ــ عزَّ شأنه ــ من وراء القصد .

ربِّ اغفر لي ما زلت به القدم ، وأحْسن إليَّ ، وإلى شيوخي الأكارم ، واجعل أعمالي كلّها خالصة لوجهك الكريم .

وفي الختام أستحضر قول ابن أبي الإصْبَع المصريّ [١]

مَـا أَحْسَـنَ الإغْضَـاءَ مِـنْ مُنْصِـفٍ ... يَعْلَـمُ أنَّ الكَامِـلَ اللهُ !

إنْ أَبْصَـرَتْ عَينَـاكَ عَيْبًـا فَجُـدْ ... بِفَضْـلِ عَفْـوٍ عِنْـدَ رُؤْيَـاهُ

(١) البيتان من السريع ، وهما لابن أبي الإصبع المصري . ينظر : تحرير التحبير ص ٦٢٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

****

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ــ ط : دار إحيــاء التراث العربي ــ بيروت ــ من دون تاريخ .
- أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ــ دراسة نحوية بلاغية تداولية ــ للباحثة ناغش عيدة ــ رسالة ماجستير ــ جامعة مولــود معمري ــ كلية الأدب واللغات ــ الجزائر ــ ٢٠١٢ م .
- الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم ــ سورة الكهــف نموذجــا ــ دراســة وصفية ــ للباحث محمد أبو لحية ــ رسالة ماجستير ــ مخطوط ــ جامعــة الحاج لخضر ــ باتنة ــ كلية الآداب ــ ٢٠١٠ م ــ ١٤٣١هـ .
- آل حم الشورى ــ الزخرف ــ الدخان ــ دراسة في أسرار البيان ــ د: محمد محمد أبو موسى ص ٥١٤ ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط : أولى ــ ١٤٣١ هـ ــ ٢٠١٠ م .
- الإيضاح للخطيب القزويني ــ تح : الشيخ بهيج غزاوي ــ ط : دار إحيــاء العلوم ــ بيروت ــ ط : رابعة ــ ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .
- البحر المحيط لأبي حيان ــ تح : عادل أحمد عبد الموجود ــ وعلي محمــد معوض ــ ط : دار الكتب العلمية – لبنــان ــ ط : أولــى ــ ١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠١ م .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة ــ تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ــ ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ٢٠٠٠ م .
- البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره) تأليف : الحسين بن الحســن بــن حرب المروزي ــ تح : د. محمد سعيد بخاري ــ ط : دار الوطن ــ الرياض ــ ط : أولى ــ ١٤١٩ هـ .

📖 البلاغة العالية ــ علم المعاني ــ للشيخ عبد المتعال الصعيدي ــ تقديم د / عبد القادر حسين ــ ط : مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ ط : ثانية ــ ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م .

📖 تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الإِصْبَع المِصْرِى ــ تح : د حفنى محمد شرف ــ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ د ت .

📖 التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ ط : دار سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس – ١٩٩٧ م

📖 تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ــ تأليف : محمد عبد الرحمن المباركفوري ــ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ من دون تاريخ .

📖 التصوير البيانى ــ دراسة تحليلية لمسائل البيان ــ د محمد محمد أبو موسى ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ الطبعة السادسة ٢٠٠٦ م .

📖 التعريفات للجرجانى ــ تح : إبراهيم الأبياري ــ ط : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط : أولى ــ ١٤٠٥ هـ .

📖 تفسير البيضاوي ــ ط : دار الفكر ــ بيروت ــ من دون تاريخ .

📖 تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبيرومفاتيح الغيب للرازي ــــ ط : دار الفكر ــ لبنان ــ بيروت ــ ط : أولى ــ ١٤٠١ ه ــ ١٩٨١ م .

📖 تفسير القرآن العظيم لابن كثير ــ ط : دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٠١ هـ .

📖 تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ــ تح : سامي بن محمد سلامة ــ ط : دار طيبة للنشر والتوزيع ــ ط : ثانية ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩ م .

📖 تفسير القرآن الكريم (من الحجرات إلى الحديد) للشيخ : محمد بن صالح العثيمين ــ ط : دار الثريا للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ ط : أولى ــ ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

📖 تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ــ ط : المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م .
📖 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ تح : ابن عثيمين ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .
📖 جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ــ تح : أحمد محمد شاكر ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ ط : أولى ــ ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠ م .
📖 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ــ ط : دار الشعب ــ القاهرة ــ من دون تاريخ .
📖 الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ــ د/ عز الدين علي السيد ــ ط : دار اقرأ ــ بيروت ــ ط أولى ــ ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤ م .
📖 دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير ــ د: عبد الهادي العدل ــ ضبطها وعلَّق عليها /عبد السلام أبوالنجا سِرحان ــ ط: دار الفكر الحديث للطبع والنشر ــ القاهرة ــ مِن دون تاريخ .
📖 دلالات التراكيب ــ دراسة بلاغية للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى ــ ط : مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط : ثالثة ــ ١٤٢٥ هـ ــ ٢٠٠٤ م .
📖 دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تح : د التنجي ــ ط : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط : أولى ــ ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥م .
📖 ديوان امرئ القيس ــ شرح : عبد الرحمن المصطاوي ــ ط : دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط : ثانية ــ ١٤٢٥ ه ــ ٢٠٠٤ م .
📖 ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري ــ تح : د / أنور عليان أبو سويلم ، ود / محمد علي الشوابكة ــ ط : مركز زايد للتراث والتاريخ ــ العين ــ الإمارات ــ ط : أولى ــ ١٤٢١ ه ــ ٢٠٠٠ م .
📖 ديوان كُثَيِّر عَزّة ــ جمعه وشرحه / د : إحسان عباس ــ ط : دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٩١ ه ــ ١٩٧١ م .

📖 رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية لابن هشام المصري ـ تحقيق : د : مازن المبارك ـ ط : دار ابن كثير ـ دمشق ـ ط : أولى ـ ١٩٨٧ م .

📖 روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البرسوي ـ ط : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ من دون تاريخ .

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ـ ط : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ من دون تاريخ .

📖 سنن أبي داود السجستاني الأزدي ـ تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط : دار الفكر ـ من دون .

📖 شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ـ تح : يحيى بشير مصري ـ ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ط : أولى ـ ١٩٩٦ م .

📖 شروح سنن ابن ماجة ـ تحقيق وإعداد : رائد صبري أبو علقمة ـ ط : بيت الأفكار الدولية ـ الأردن ـ ط : أولى ـ ٢٠٠٧ م .

📖 الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ـ توثيق وتحليل ونقد ـ رسالة دكتوراه ـ مخطوطة ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى ـ للباحثة : نجاح أحمد عبد الكريم الظهار ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

📖 صحيح البخاري المسمى : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ـ تح : محمد زهير بن ناصر ـ ط : دار طوق النجاة ـ ط : أولى ـ ١٤٢٢هـ .

📖 عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ـ ط : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ دت

📖 عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط : ثانية ـ ١٤١٥هـ .

📖 غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ـ تح : الشيخ زكريا عميران ـ ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: أولى ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

📖 الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ــ تح : علي محمد البجاوي ــ و / محمد أبو الفضل إبراهيم ــ ط : دار المعرفة ــ لبنان ــ ط : الثانية ــ من دون تاريخ .
📖 فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ تح : محب الدين الخطيب ــ ط : دار المعرفة ــ بيروت ــ من دون تاريخ .
📖 فن البلاغة د عبد القادر حسين ــ ط : دار عالم الكتب ــ ط : ثانية ــ بيروت ــ ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م .
📖 فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ــ ط : المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ط : أولى ــ ١٣٥٦هـ .
📖 الكتاب (كتاب سيبويه) ــ تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ــ ط : مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ــ ط : ثانية ــ ١٤٠٢ ه ــ ١٩٨٢ م .
📖 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ــ تح : عبد الرزاق المهدي ــ ط : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
📖 الكليات ــ معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية ــ تأليف : أبو البقاء الكفوى ــ تح : عدنان درويش ــ محمد المصرى ــ ط : مؤسسة الرسالة ــ بيروت – ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .
📖 اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ــ تح : د / عبد الإله نبهان ــ ط : دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ ودار الفكر ــ دمشق ــ ط أولى ــ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥ م .
📖 لسان العرب لابن منظور ــ ط : دار صادر ــ بيروت ــ د ت ــ من دون تاريخ .
📖 مجلة الوعى الإسلامى ــ عدد (٢٧٣) ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م .
📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ــ ط : دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤١٢ هـ .

📖 مرقاة المفاتيح للعلامة علي بن سلطان محمد القاري (شرح مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي) ـ تح : جمال عيتاني ـــ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط : أولى ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١ م .

📖 المصباح المنير للفيومي في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد الفيومي ـ ط : المكتبة العلمية ـ بيروت ـ د ت .

📖 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي ـ تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط : عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٣٦٧ ه ـ ١٩٤٧ م .

📖 مُعجم البُلدان لياقوت الحموي ـ ط : دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٧ ه ـ ١٩٧٧ م .

📖 المعجم الوسيط ـ تأليف: إبراهيم مصطفى،أحمدحسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار ـ تح : مجمع اللغة العربية ـ ط : دار الدعوة ـ د ت .

📖 مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ـ تح : صفوان عدنان داوودي ـ ط : دار القلم ـ دمشق والدار الشامية ـ بيروت ـ ط : رابعة ـ ١٤٣٠ ه ـ ٢٠٠٩ م.

📖 مقدَّمة ابن خلدون ـ تح : عبد الله محمد الدرويش ـ ط : دار يعرب ـ دمشق ـ ط : أولى ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .

📖 من أسرار التعبير القرآني ـ دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ـ د محمد محمد أبو موسى ـ ط : مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط : ثالثة ـ ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م

📖 المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ـ ط : دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ ط : ثانية ـ من دون تاريخ .

📖 نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى ـ ط : دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة ـ من دون تاريخ .

📖 النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي ـ تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٩٩٩
٢-	Abstract	٣٠٠١
٣-	المقدّمة	٣٠٠٢
٤-	التمهيد	٣٠٠٧
٥-	أولا : أسلوب الفرض والتقدير ـ بين المفهوم والتأصيل .	٣٠٠٧
٦-	ثانيا : القيم البلاغية لأسلوب الفرض والتقدير .	٣٠١١
٧-	الفصل الأول : طرائق الفرض والتقدير، ودلالاته، في فصيح الكلام وفيه مبحثان :	٣٠٢١
٨-	المبحث الأول : طريق الشَّرط والجزاء . وفيه ثلاثة مطالب :	٣٠٢٢
٩-	المطلب الأول : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (إن) .	٣٠٢٣
١٠-	المطلب الثاني : الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (لو)	٣٠٣٦
١١-	المطلب الثالث: الفرض والتقدير في سياق الشرط المصدر بـ (من) .	٣٠٥٢
١٢-	المبحث الثاني : طريق الاستفهام . وفيه مطلب وحيد :	٣٠٥٦
١٣-	المطلب الأول : الفرض والتقدير في سياق الاستفهام الإنكاري بالهمزة .	٣٠٦٠
١٤-	خاتمة البحث	٣٠٧٤
١٥-	فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم	٣٠٧٨
١٦-	فهرس الموضوعات	٣٠٨٤